محيى الدين محمد عبد الهادى سيف مطاوع

الأبعاد الإنسانية لشخصية أخيلليوس فى الإلياذة

لا ترجع أهمية دراسة الأبعاد الإنسانية لشخصية أخيلليوس (Αχιλλεύς) فى الإلياذة إلى كونه الشخصية الأولى فقط، ولكنها لأنها تساعدنا أيضاً فى فهم واستيعاب الإلياذة كلها بوصفها عملاً متكاملاً، يلقى الضوء على المجتمع الإغريقي مثلما يراه الشاعر هوميروس (Ομηρος) سواء كان وقت الحرب أو السلم. فعلى الرغم من أن الحدث الرئيس للملحمة هو حرب طروادة، إلا أن موضوعها الرئيس هو شخصية أخيلليوس، أو بالأحرى ذلك الشعور الذى يملك عليه نفسه وهو الغضب. مثلما يتضح من فاتحة الملحمة، فيقول هوميروس:

Μῆνιν ἄειδε, θεὰ, Πηληϊάδεω ᾽Αχιλῆος οὐλομένην,[1]

---

(1) Il. 1.1

Kirk G. S., The Iliad. A Commentary. V. 1. books 1-4. Cambridge. 1985. p. 51.

كانت مناداة ربة الشعر فى افتتاحية الأنشودة شيئاً مألوفاً فى شعر الملاحم والتراتيل، ولم يقتصر هذا الأسلوب على هوميروس فقط، بل تكرر فى افتتاحية "الأعمال والأيام" لهسيودوس.

كان غضب أخيليوس هو المحور الرئيس لملحمة هوميروس، وقد تطور غضب أخيليوس عبر أحداث الإلياذة، وتعددت نتائجه، ففى البداية كان غضبه من أجاممنون سبباً لانسحابه من المعركة، وبعد وفاة باتروكلوس توجه غضبه نحو الطرواديين، وكان سبباً فى عودة أخيليوس إلى المعركة، وانتهى بقتله أخيليوس.

يجب أن أشير إلى أن النصوص الإغريقية المستشهد بها فى ذلك البحث مأخوذة من الطبعة الآتية:

Homeri Ilias, Recensuit, Arthurus Ludwich. Volum Alteerum. Lipsiae, in Aedibus B.G. Teubneri. MDCCCCVII (1978).

وفقاً لأراء الباحثين، مثلما قالت جينيو كيم في كتابها:

Kim. J., The Pity of Achilles, Oral Style and the Unity of the Iliad. Oxford. (2000), p. 178.

تنقسم الإلياذة إلى ثلاثة مشاهد لكل منها عدد كتب متساوية، يبدأ المشهد الأول مع بداية الكتاب الأول وينتهى بنهاية الكتاب الثامن. والمشهد الثانى من الكتاب التاسع حتى نهاية الكتاب السادس عشر، والمشهد الأخير من الكتاب السابع عشر حتى نهاية الكتاب الرابع والعشرين. وسوف نركز فى هذا البحث على شخصية

حدثينى يا ربة الشعر عن غضبة أخيلليوس بن بيليوس المدمرة.(١)

كما تنتهى أحداثها بإقامة الطقوس الجنائزية لهيكتور بعد تصالح أخيلليوس مع نفسه بعد استجابته لتوسل الملك الطروادى:

Ὣς οἵ γ' ἀμφίεπον τάφον Ἕκτορος ἱπποδάμοιο.(2)

وكانت تلك هى مراسم دفن هيكتور، مروض الخيول.

ونظراً لأهمية إلقاء الضوء على العالم البطولى الهوميرى بوصفه مجتمعاً تسوده بعض المبادئ الأخلاقية، تلك المبادئ التى تنظم شكل العلاقة الاجتماعية وأسلوبها بين أفراده، رأيت أن تكون مقدمة هذا البحث هى إلقاء الضوء على المفهوم البطولى فى المجتمع الهوميرى.

الأبعاد الإنسانية ودورها فى تنظيم العالم البطولى:

تتحدد النقاط الرئيسة فى ذلك الجزء من البحث فيما يأتى:

١ . إلقاء الضوء على بعض القيم الأخلاقية التى تساعد المرء فى المجتمع الهوميرى على تحقيق أهدافه الشخصية وأهداف عشيرته فى الوقت نفسه.

٢ . القيم الأخلاقية التى تنسق العلاقة بين أفراد العشيرة الواحدة، بوصفهم أفراداً يعيشون فى مجتمع واحد تحكمه قيم أخلاقية،

أخيليوس فى الكتب الأول والتاسع والرابع والعشرين لاعتقادنا بأن هذه الكتب تمثل النقاط المحورية فى الإلياذة كلها بصفة عامة.

(١) الترجمات الموجودة في هذا البحث مأخوذة من ترجمة الإلياذة التى قام على ترجمتها نخبة من الأساتذة المتخصصين تحت إشراف د/ أحمد عتمان.

هوميروس الإلياذة: تحرير ومراجعة مقدمة: أحمد عتمان، وشارك معه فى الترجمة وفقاً لترتيب الكتب المترجمة: د/ لطفى عبد الوهاب يحى، د/ منيرة كروان، د/ سيد عبد السلام البراوى، د/ عادل النحاس. القاهرة ٢٠٠٤م. المجلس الأعلى للثقافة.

(2) Idem .24.804.

توجد بعض النصوص القديمة التى أضافت بيتاً آخر بعد هذا البيت:

Αρηος θυγάτηρ μεγαλήτορος ἀνδροφόνοιο.

استخدم هوميروس بعض التعبيرات الأخلاقية لتقييم شخصياته وسوف نكتفى هنا بالحديث عن التعبيرات "النبيل، الفاضل، التقدير"(τιμή, ἀγαθός, ἄριστος)[١] بوصفها أهم التعبيرات الأخلاقية فى المجتمع الهوميرى.

يجب أن نشير، فى البداية إلى أن الشخصيات الهوميرية، أو على الأقل التى اهتم بها هوميروس كانوا من أصحاب المكانة الاجتماعية المتميزة، ومن الممكن أن نطلق عليهم "نبلاء" (ἄριστοι) وهم الأثرياء أصحاب المكانات المتميزة فى المجتمع، سواء كانوا من الملوك أو من الأسر المالكة. ومع ذلك يرى هوميروس أن تلك الصفة لم تكن كافية للتميز، أو على الأقل لا تبرهن على أحقية الشخص النبيل فى مكانته الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، ساربيدون (Σαρπηδών) وجلاوكوس (Γλαῦκος). كان ساربيدون ابناً لزيوس (Ζεύς) علاوة على مكانته الاجتماعية المرموقة، فهو ملك، وتكرمه عشيرته كما لو كان إلهاً، أى أنه كان نبيلاً (ἄριστος) من الدرجة الأولى.[٢] ومع ذلك فإنه يرى أن مكانته الاجتماعية وثرواته لا ترقى به إلى صفة "الفاضل" (ἀγαθός)، كما يعتقد أن أحقيته فى التكريم بين عشيرته، لن تتحقق من خلال مكانته الاجتماعية فقط، فيبدأ حواره مع جلاوكوس متسائلاً:

Γλαῦκε τί ἦ δὴ νῶϊ τετιμήμεσθα μάλισταὲν Λυκίῃ,[3]

جلاوكوس: لماذا ننال نحن الاثنين التكريم في ليكيا؟

كان ساربيدون وجلاوكوس من النبلاء وقد أصبحا كذلك لأنهما ينحدران من سلالة نبيلة، ولأنهما لم يتكبدا مشاق الوصول إلى هذه المكانة، ويرى ساربيدون أنهما يجب أن يبرهنا على

(1) A Greek-English Lexicon. Compiled by H. G. Liddell and R. Scott. Oxford. (1996), p. 241.

αγααθός : تعددت معنى هذه الكلمة ، فعلى سبيل المثال، تعنى "نبيل المولد، رقيق، شجاع، فاضل، القادر على" بالإضافة إلى معانى كثيرة أخرى، وقد فضلت اختيار معنى الفاضل هنا للتمييز بينها وبين الصفة ἄριστος التى تعنى نبيل المولد والتى سنشير إليها بالصفة "نبيل". أما τμή فتعنى "تقدير، فضيلة، قيمة، احترام، كرامة ...." سوف نشير إليها بمعنى (تقدير).

(٢) Adkins A. W. H., Merit and Responsibility, A Study in Greek Values. Chicago and London. (1960). (1975), p. 34.

(3) Idem. 12. 310f.

أحقيتهما بما يتمتعان به من مكانة اجتماعية، وهذا لن يتأتى إلا بهجر حياة الترف، والتقدم إلى الصفوف الأولى، لكى يحصلا على التقدير (τιμη) الذى يرقى بهما من مكانتهما بوصفهما من النبلاء (ἄριστος) ويصبحان من الأفاضل (ἀγαθοι)،[١] فيقول:

τὼ νῦν χρὴ Λυκίοισι μέτα πρώτοισιν ἐόντας
ἑστάμεν ἠδὲ μάχης καυστείρης ἀντιβολῆσαι,
ὄφρά τις ὧδ᾽ εἴπῃ Λυκίων πύκα θωρηκτάων·[2]

يجب علينا أن نقف فى طليعة المقاتلين
وأن نواجه القتال الضارى، حتى يقول الليكيون عنا دائماً
إن ملوكنا الذين يحكمون فى ليكيا ليسوا وضيعين.

لقد وضح ساربيدون أن أهم ميزة للمحاربين الهوميريين هى بسالتهم فى القتال. وقد وُصفت الإنجازات العسكرية بكلمة "التميز" (αρετἤ)، بينما وُصف المحارب بالصفات "الشجاع" (ἔσθλος) و "الفاضل" (,ἀγαθός) و "النبيل" (ἄριστος)، وكان "التقدير" (τιμη) هو الجائزة التى يحصل عليها هى فى صورتها المادية المعروفة بالاسم "جائزة مادية" (γέρας). وحيث أن هذه الجائزة تمنح البطل صفة التميز عن أقرانه، فعلى المحارب إثبات أحقيته بهذا التميز، أو بمعنى آخر عليه إثبات جدارته بالتقدير الذى سيحصل عليه، وهذا لن يتحقق إلا بالتقدم إلى الصفوف الأولى فى الجيش ومواجهة المخاطر بقلب جسور كلما تطلب الأمر. والمحارب النبيل لن يحارب الأعداء فقط من أجل حصوله على التقدير، بل يتنافس أيضاً مع زملائه المحاربين فى تحقيق الإنجازات العسكرية وإظهار الأعمال البطولية.[٣]

ويتضح من حديث ساربيدون مع جلاوكوس أن المجتمع الهوميري بطبقاته الاجتماعية كافة يُقدر أولئك القادرين على تحقيق أهداف مجتمعهم: فالمجتمع الهوميرى فى أشد الحاجة

(1) Adkins., Merit. p. 18.

(2) Idem 12. 315-317.

(3) Zanker. G., the Heart of Achilles, characterization and Prsonal Ethics in the Iliad. Univ. of Micchigan press, (1994, 1995, 1996, 1997), p. 11f.

لمحاربين أقوياء للدفاع عن وحدة المجتمع السياسية والاقتصادية، ولذلك فإن أكثر الأشياء قيمة هى الشجاعة والأسلحة الجيدة.(١)

وتظهر أهمية "الجائزة المادية" (γέρας) بوصفها تعبيراً عن تقدير المحارب من حديث أجاممنون مع أخيلليوس، فيقول له:

κέλεαι δέ με τῆνδ᾽ ἀποδοῦναι;
ἀλλ᾽ εἰ μὲν δώσουσι γέρας μεγάθυμοι ᾽Αχαιοὶ
ἄρσαντες κατὰ θυμὸν ὅπως ἀντάξιον ἔσται·(2)

أتطلب منى أن أتنازل عن غنيمتى وأن أبقى هنا صفر
اليدين حتى تستبقى أنت غنيمتك؟

ويرد أخيلليوس قائلاً:

καὶ δή μοι γέρας αὐτὸς ἀφαιρήσεσθαι ἀπειλεῖς,
ᾧ ἔπι πολλὰ μόγησα, δόσαν δέ μοι υἷες ᾽Αχαιῶν.(3)

والآن تهددنى، أنت بالذات، بالاستيلاء على غنيمتى
التى بذلت الكثير من الجهد فى سبيل الحصول عليها.

ومما سبق يتضح أن التقدير (τιμή) هو هدف المحاربين الهوميريين، والذى من أجله يواجهون الموت بقلوب لا تعرف الخوف، أو بمعنى آخر كان على المحاربين إظهار "التميز" (ἀρετη) فى ساحة القتال أو فى المنافسات الرياضية؛ لكى يحصلوا على التقدير الذى يتم التعبير عنه في صورة مادية تُعرف باسم (γέρας)، والمؤكد أن ذلك التقدير هو الذى يمنحهم "السمعة الطيبة" (κῦδος) التى تؤهلهم للحصول على المكانة الاجتماعية المميزة، كما أنه يؤدى إلى

(1) Adkins A. W. H. ”Values, Goals, and Emotions in the Iliad”. Ph. V. &&. (1982), pp. 292- 326. p. 294.

(2) Idem 1.133 -136.; Kirk. op. cit. p. 67.
تعرضت هذه الأبيات إلى كثير من النقد، بسبب ضعف محتواها الموضوعى علاوة على أن هذه الكلمات لا تليق بأجاممنون.

(3) Idem 1.161f.

"الشهرة" (κλέος) التى يطمح إليها المحارب الهوميرى. فالتقدير هو الوسيلة إلى الشهرة، التى تعبر عن الهدف العام للحياة البطولية.(١)

اعتقد الإغريق فى القدر (μοῖρα) وبالتحديد فى الموت، فهم يعلمون أنهم بشر، وسوف يموتون يوماً ما، سواء كانوا فى الصفوف الأولى للجيش أو على أرائكهم فى قصورهم، فهم على يقين من أن قدر الموت يلاحقهم أينما كانوا، وهذا القدر فى أيدى ربات القدر، ولا يستطيع أحد، سواء من الآلهة أو البشر، أن يُعجل به أو يؤخره، ولذلك نجد أولئك الأبطال يتسابقون إلى مواجهة المخاطر بقلوب جسورة، فتلك هى الوسيلة الوحيدة أمامهم لتحقيق رغبتهم فى الحصول على التقدير، الذي سيحقق لهم شهرة خالدة وسمعة طيبة، فى محاولة منهم للتغلب على قدرهم البشرى،(٢) فيقول ساربيدون:

ὦ πέπον, εἰ μὲν γὰρ πόλεμον περὶ τόνδε φυγόντε
αἰεὶ δὴ μέλλοιμεν ἀγήρω τ᾽ ἀθανάτω τε
ἔσσεσθ᾽, οὔτέ κεν αὐτὸς ἐνὶ πρώτοισι μαχοίμην
οὔτέ κε σὲ στέλλοιμι μάχην ἐς κυδιάνειραν·(3)

لو كان الهروب من هذه الحرب
يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين،
ما كنت لأحارب فى طليعة الصفوف.

كما يقول هيكتور (Εκτωρ) لزوجته:

οὐ γάρ τίς μ᾽ ὑπὲρ αἶσαν ἀνὴρ Ἀϊδι προϊάψει·
μοῖραν δ᾽ οὔ τινά φημι πεφυγμένον ἔμμεναι ἀνδρῶν,
οὐ κακὸν οὐδὲ μὲν ἐσθλόν, ἐπὴν τὰ πρῶτα γένηται.(4)

يا زوجتى الحبيبة، لن يبعث بى أحد إلى هاديس إن لم

---

(1) Zanker. op. cit. p. 12.

(2) Adkins., Merit . p. 17 ff.

(٣) Il. 12. 322- 324.

قارن فلسفة ساربيدون بفكر أودسيوس (19. 233-7) وإيمان هيكتور بالقدر (6. 488-9).

(4) Il 6. 487- 489.

يكن هذا هو قدرى و لا أحد يتملص من قدره المحتوم،
نبيلاً كان أم وضيعاً، فهو قدر مرسوم للمرء منذ ولادته.

لا تشير دعوة ساربيدون لصديقه جلاوكوس بمهاجمة جيوش الإغريق إلى المفهوم البطولى الهوميرى فقط، ولكنها كانت فى حد ذاتها مظهراً من مظاهر البطولة، لأن البطولة الهوميرية لم تكن محددة بفعل محدد، فهى موقف ينشأ عن معرفة الإنسان بحدوده البشرية، وإدراكه لحتمية موته، فالأبطال الهوميريين على يقين من فنائهم، ومن ثم كان عليهم تحقيق ما يحفظ ذكراهم، ولم يكن هناك سوى طريق واحد أمامهم، وهو التقدم إلى طليعة الصفوف، لتحقيق ذلك المجد الذى يضمن لهم الخلود، أى أن المفهوم البطولى معرفة يتولد عنها فعل.(١)

وموجز القول: كانت الشجاعة فى مواجهة المخاطر، وخاصة الحربية منها، هى وسيلة الإنسان فى المجتمع الهوميرى للتغلب على قصوره أمام الآلهة، بالإضافة إلى كونها وسيلة الحصول على التقدير، ذلك التقدير الذى يحقق المجد ويعطى الحياة الإنسانية معنى وقيمة، بالإضافة إلى خلود ذكرى البطل.(٢)

وإذا كانت ملحمة هوميروس قد أكدت أن هدف الجيوش الإغريقية هو الاستيلاء على طروادة، فإنها قد عبرت أيضاً عن القيم الإنسانية، التى تساعد أفراد هذا المجتمع على تحقيق أهدافهم، من خلال بعض العبارات الأخلاقية، مثل "من العار أن تُهزم" و "الشخص النبيل هو الذى يبذل أقصى جهده فى المعركة". كما عبرت عن بعض العواطف بعبارات مماثلة، ومع ذلك فإننا يجب أن نشير إلى أن بعض العواطف قد تفرز سلوكاً ما يعرقل تحقيق الأهداف، سواء على المستوى الشخصى أو العام.(٣)

(1) Mueeler M. " Knowledge and Deusion in the Iliad" Essays on the Iliad, selected modern Criticism, edited by Wright J. Bloomington and London. (1978), pp. 105-123. p. 105; cf. Hainsworth. B. , The Iliad: A Commentry. V. 111. Cambridge. (1993), p. 353

(2) Adkins. Values, p. 297.

(3) Adkins. Values. p. 29.

وسوف نكتفى هنا بالحديث عن الشفقة بوصفها شعوراً حافزاً على تحقيق الأهداف العامة، من ناحية، وبوصفها عائقاً يعوق الأبطال عن تحقيق أهداف مجتمعهم من ناحية أخرى.

تؤكد الباحثة "جينيو كيم" (Junyo kim) أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا فى البداية أن المفهوم العام للشفقة مفهوم مغاير للروح البطولية، فدور البطل الرئيس فى المعركة محدد، وهو أن يقتل العدو أو يُقتل،(١) فيقول هيكتور:

ἤ κε φέρῃσι μέγα κράτος, ἦ κε φεροίμην.
ξυνὸς ᾽Ενυάλιος, καί τε κτανέοντα κατέκτα.(2)

بل سأواجهه، وجهاً لوجه، وإذا فاز هو بالنصر أو فزت أنا فإله الحرب
إنيالليوس نزيه لا يحفل بالأشخاص، ومن قتل يُقتل فى الغالب

كما يؤكد رديفيلد (Redfield) الذى يقول فيه "إن دور المحارب هو الذى يحدد سلوكه" ويستمر فى قوله "يجب على الأبطال الهومريين أن يقهروا الرحمة والخوف وأن يتعلموا كيف يبجلون فضيلتهم على حساب حياتهم أو حياة الآخرين" ومن ثم بناءً على وجهة النظر هذه، فإن الأخلاق البطولية تبعد الشفقة من حساباتها.(٣)

والجدير بالذكر أن مفهوم الشفقة لم يكن قاصراً على المجتمع الهوميرى، بل كان جزءً من الأخلاق الإغريقية عامة، التى تقضى بأن "تكون طيباً مع أصدقائك وسيئاً مع أعدائك"، وكان سلوك أخيلليوس فى الكتاب الأول أفضل دليل على أهمية موضوع الشفقة فى تنسيق العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد؛ فشفقته على الأخيين لم تكن مجرد مشاعر دفينة، بل كانت حافزاً له يجعله يفعل ما يفيد أصدقاءه، ولذلك فإنه يطالب قادة الجيوش بعقد اجتماع لبحث أسباب الطاعون. فهو يفعل ما ينقذ أصدقاءه من الموت، ويثبت تدخله أنه راغب فى مساعدتهم على الشفاء من الوباء الذى

(1) kim. J., op. cit. p. 14f.

(2) Idem 18. 308f.

(3) Redffield. M. "The Wrath of Achilles as tragic error" Essays on the Iliad, Selected Modern Criticism, edited by Wright J. Bloomington and London. (1978), p. 92.

يعانون منه. فقد استطاع بدافع الشفقة أن يسترضى الإله أبوللون، الذى رفع غضبه عن الأخيين وأوقف الطاعون.(١)

والشئ اللافت للنظر هو أن صفة "مشفق" (ἔλεος) ونقيضها "عديم الشفقة" (νηλεής) قد ارتبطتا فى الإلياذة بأخيلليوس، علاوة على أنه الشخصية الوحيدة الذي أشير إليه بالصفة "عديم الشفقة". فكل المحيطين به يطلقون عليه هذه الصفة مثل فوينيكس (Φοῖνιξ) وأياس (Αἴας) وباتروكلوس (Πατρόκλος) والميرميدون (Μυρμιδόνοι)، وينتقدونه بسبب رفضه العودة إلى المعركة ومساعدة الإغريق، فيقول نيستور:

ἀλλ᾽ Ἀχιλεῦ δάμασον θυμὸν μέγαν· οὐδέ τί σε χρὴ
νηλεὲς ἦτορ ἔχειν·(2)

يا ولدى أخيلليوس غيظك كبير، فلا يليق بك أن تملك
هذا القلب الذى لا يلين.

وعن أهمية الشفقة فى تنظيم العلاقة الاجتماعية بين أفراد العشيرة الواحدة، تقول جينيو كيم:

(1) Kim. J. op. cit. p. 74.

من الواضح أن شفقة أخيليوس أو عدم شفقته ليست مجرد فكرة تصادفية (عرضية) بل هى تمثل موضوعاً هاماً، أولاً: يتم التأكيد على هذه الفكرة من خلال بعض التعبيرات البلاغية والمتضادات لها التى لا تحدث أكثر من أربع مرات وتكون مقتصرة على أخيليوس، (لأن الحالة الموجودة فى النشيد الحادى عشر، البيت ٨١٤ مخصصة لشفقة باتروكلوس). ثانياً: تأتى هذه الفكرة مع الأحداث ذات الأهمية المحورية للحبكة الدرامية الخاصة بالإلياذة، مثل البعثة وعودة باتروكلوس ثم عودة أخيليوس نفسه والألعاب الجنائزية وتوسل برياموس. ثالثاً: الفكرة تكون متطورة فى نموذج موسيقى، الذى يشكل البناء الفنى للقصيدة: لكى تُظهر أن فكرة عدم شفقة أخيليوس على أصدقائه تؤدى إلى شفقته على باتروكلوس، وفكرة عدم رحمته تجاه الطرواديين تؤدى إلى شفقته على برياموس. وبتلك الطريقة يتم إيجاد الحل مرتين للرواية الخاصة بعدم شفقته، مثلما يحدث، فيما يخص فكرة شفقته. (من خلال وجهة النظر أن شفقة أخيليوس فى الألعاب الجنائزية تمارس دورها بوصفها ملحوظة عن التغيير فى السلوك قبل الحل النهائى).

(2) Il 9. 496 f.

أولاً: يتم تأكيد هذه الفكرة من خلال بعض التعبيرات البلاغية التى تتكرر كثيراً فى الملحمة، وتقتصر على أخيلليوس، (فيما عدا الحديث فى الكتاب الحادى عشر، البيت ٨١٤ فقد نُسبت الشفقة إلى باتروكلوس).

ثانيـاً: تـأتى هـذه الفكـرة مـع الأحـداث ذات الأهميـة للحبكـة الدراميـة للإليـاذة، مثـل البعثـة وعـودة باتروكلوس ثم عودة أخيلليوس نفسه للقتال والألعاب الجنائزية وتوسل بريـاموس لأخيلليوس.

ثالثاً: تتطور فكرة عدم الشفقة بتطور البناء الفنى للملحمة: لكى تُظهر أن فكرة عدم شفقة أخيلليوس على أصدقائه تؤدى إلى شفقته على باتروكلوس، وفكرة عدم شفقته على الطروادیين تؤدي إلى شفقته على بريـاموس، وبذلك تصبح شفقة أخيلليوس على بريـاموس وثيقة الصلة بغضب أخيلليوس.(١)

وفى الحقيقة أن هوميروس لم يكتف بالتركيز على شفقة أخيلليوس بوصفها مناقضة لغضبه فقط، بل باعتبارها قيمة أخلاقية، أو شعوراً إنسانياً ينظم العلاقة بين أفراد العشيرة الواحدة، وهذا ما سوف نتعرض إليه فى مكان آخر من هذا البحث من خلال التعليق على أحداث الكتاب التاسع، وبالتحديد حوار أخيلليوس مع أعضاء البعثة.

(1) Kim. J., op. cit. p.

أخيلليوس

تعرض اسم أخيلليوس لكثير من الأبحاث والتحليل، ونظراً لعدم العثور على جذور اتيمولوجية لهذا الاسم سوى اقتراح بأنه قد يكون مشتقاً من اسم النهر أخيلليوس،[١] يقول ناجى (Nagy) كانت نتيجة البحث حول معنى اسم أخيليوس قائمة من التفسيرات المختلفة التى تم تقديمها على مدار السنين للبحث فى معنى اسم بطل الإغريق الأول. ومن أكثر التفسيرات قبولاً هو التفسير الذى جاء به "ليونارد بالمير" (Leonrad Palmer) وهو أن اسم أخيلليوس(Αχιλ [λ] εύς) مشتق من كلمتى Αχι–λαός . ولا يعتمد هذا التفسير على الدراسة الاتيمولوجية لمعنى اسم أخيلليوس، بل هو نتاج أبحاث عديدة حول الإلياذة؛ ولا يمكننا أن ندين هذا التركيب مادمنا نستطيع أن نبرهن أن المعنى المقصود "شعبه الذى به حزن" ناتج عن دور أخيلليوس فى الإلياذة، وعلينا أن نفحص كيف أن الفكرة العامة لصورة أخيلليوس على علاقة مباشرة بالعبارتين "الحزن" (ἄχος) و"حشد المحاربين" (λαός).[٢]

تتضح العلاقة بين اسم أخيلليوس ودوره فى الإلياذة من أحداث الإلياذة نفسها، ففى الكتاب الأول حين يغضب من أجاممنون (Αγαμέμνων)، ينسحب من المعركة ويرفض أن يشارك الأخيين حربهم ضد الطرواديين. وقد ترتب على ذلك هزيمة الأخيين (Αχαιοὶ) على أيدى هيكتور والطرواديين، فانسحاب أخيلليوس، أو بالتحديد غضبه كان السبب الرئيس في هزيمتهم على أيدي الطرواديين، واستمر جيش الإغريق يدفع ثمن غضب أخيلليوس من رفاقه، فانتشر الخراب والدمار بين الأخيين، واتسعت دائرة الهلاك، ووصل حزن الأخيين إلى ذروته بموت باتروكلوس (Πάτροκλος) بيد هيكتور. عندئذ يتنازل أخيلليوس عن غضبه من الأخيين، وبمعنى آخر يغير أخيلليوس اتجاه سهام غضبه ويوجهها نحو الطرواديين، ويعود أخيلليوس إلى القتال، لينشر الموت بين عناصر الجيش الطروادى وتتجرع العائلات الطروادية الحزن على يديه.

---

(1) The Oxford Classical Dictionary. Edited by N.G.L., Hammond and H. H. Scullard, Second Edition. Oxford. (1979), p. 4f.

(2) Nagy G. The Best of the Achaeans, Concept of the Hero in Archaic oetry. Baltimore and London. p. 70f;

على الرغم من أن "ليونارد بالمير" استند فى تفسيره لاسم أخيلليوس على دوره فى الإلياذة، إلا إننى أرى أن هذا التفسير لا يقتصر فقط على أحداث الإلياذة، بل على وجوده فى الحياة نفسها، فأخيلليوس كان سبباً لحزن كل المحيطين به.

كان وجود أخيلليوس فى الحياة نتاجاً للقاء غير متكافئ، بين ثيتيس (Θέτις) الخالدة وبيليوس (Πηλεύς)[1] الفانى؛ والجدير بالذكر أن هوميروس لم يشر إلى رغبة زيوس وبوسيدون (Ποσειδῶν) فى الزواج من ثيتيس، واكتفى بالقول: إن زيوس زف ثيتيس إلى بيليوس مكافأة له على شجاعته. وقد فعل زيوس ذلك بناءً على نصيحة الربة ميتيس (Μῆτις)، التي تنبأت بأن ثيتيس ستنجب ولداً أقوى من أبيه. وعموماً كان أخيلليوس هو الطفل الوحيد على الأرض الناتج من زواج إحدى حوريات البحر إلى إنسان.[2]

(1) Oxford Classical. Dictionary. S. v. Peleus. p. 794.

بطل قومى من ايجنا، ومثلما ورد عند أبوللودوروس (Apollod. 3. 160) اشترك بيليوس مع شقيقه تلامون فى قتل أخيهما غير الشقيق فوكيوس، وقد عاقبهما والدهما بالنفى، فذهب بيليوس إلى بيثيا، حيث تطهر هناك من جريمته على يد ايروتيوس وتزوج ابنته أنتيجونى، ولكنه للمرة الثانية قتل والد زوجته، وتعرض للنفى مرة أخرى، فذهب إلى ايولكوس حيث طهره أكاستوس ابن بلياس من جريمته. ومن أشهر القصص حوله، إنه تزوج من ثيتيس حورية البحر، وقد زفها زيوس إليه مكافأة له على أعماله القومية، كما أهدته الآلهة أسلحة من صنع هيفايستوس.

(2) Redfield. op. cit. pp. 85, 88.

كانت ثيتيس، حورية البحر، من العمالقة، ولكنها وقفت إلى جانب زيوس في حربه ضد العمالقة، ولذلك كانت ذات مكانة خاصة عند زيوس. وقد تسابق إلى الزواج منها كل من زيوس وبوسيدون، ولكن الربة ميتيس حذرتهما من أن ثيتيس ستنجب ابناً يفوق أبيه قوة. عندئذ ابتعد عنها الإلاهان، ولكن زيوس ظل يهتم بها، وقرر أن يزفها إلى بيليوس البطل القومي. تزوج بيليوس من ثيتيس وأنجبت له أخيليوس، ولأن الابن يرث طبيعة أبيه، فقد كان أخيليوس إنساناً، والطبيعى ألا ترضى أمه، وتحاول أن ترفعه إلى مصاف الآلهة، فقررت تطهير بدن أخيليوس من الصفات الآدمية، وتعددت الأساطير حول هذا الموضوع، فبعضها قال إن أمه كانت تعرض أخيليوس للنار كل يوم لتقضى على صفاته الآدمية، ولكن أكثر الأساطير انتشاراً، التى تقول إن ثيتيس أمسكت بابنها من كعبيه ووضعت باقى جسده فى مياه نهر المقدس، وعموماً كان وجود أخيليوس مسبباً ألماً لأمه، فهو بالنسبة إليها كالغريب، فبينما تعيش هى فى أعماق البحر كان يعيش هو على الأرض، والأهم منذ لك كله، هو أن وجود أخيليوس جعل أمه وهى ربة خالدة تتذوق مشاعر البشر وخاصة الحزن. والشئ الملفت للنظر هنا،

كان وضع أخيلليوس في الحياة محيراً، غير محدد الملامح، فهو نصف إله ونصف إنسان، ليس له مكان معلوم فى هذا العالم أو ذاك، ففضيلته وتهوره وعدم كماله حالوا بينه وبين العثور على مكان له فى هذا العالم أو فى عالم الآلهة. وبالنسبة لأمه كان أخيلليوس إنساناً ينتمى إلى عالم البشر المقدر عليه الموت والمعاناة، كما أن وجوده على هذا الشكل جعل أمه خاضعة بدورها لأحاسيس البشر؛ فهى تتألم وتحزن لحزن ابنها بل وتنتحب مثل باقى الأمهات لموته. والجدير بالذكر أن وجود أخيلليوس الهامشى بين العالمين كان مقتبساً من وجود أمه الهامشى أيضاً، فعلى الرغم من علاقتها الوثيقة بآلهة الأولمب، إلا أنها لم تكن منهم، فهى من العمالقة.(١)

أخيلليوس فى عيون الآخرين:

إن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: ما الذى أتى بأخيلليوس إلى حرب الإغريق ضد طروادة؟

بعد أن انتقلت هيلين (Ελένη) إلى طروادة (Τροίη) مع باريس، تجمع أمراء الإغريق ليقودوا جيشاً كبيراً تحت قيادة أجاممنون، شقيق مينيلاؤس (Μενελάος) الأكبر، انتقاماً من الطرواديين ولكى يستعيدا هيلين؛ ولكن العراف كالخاس (Κάλχας) كان قد تنبأ بأن الإغريق لن يستطيعوا تدمير مدينة طروادة إلا بوجود أخيلليوس، وحين علمت ثيتيس نبوءة العراف كالخاس بأن طروادة لن تسقط إلا بمشاركة أخيلليوس، فزعت وألبست ابنها البالغ من العمر تسع سنوات ملابس الفتيات وأرسلته إلى جزيرة سكيروس ليعيش هناك وسط بنات الملك ليكوميديس، وحين علم كالخاس بمكان أخيلليوس نصح أوديسيوس بالذهاب إلى الملك، وبالفعل ذهب أوديسيوس إلى الملك ليكوميديس وأخبره بأمر أخيلليوس المتنكر فى زى فتاة، وحين عرضت ثيتيس الأمر على أخيلليوس، أخبرته أنه سوف يحقق مجداً خالداً على الساحل الطروادى، ولكنه لن يعود حياً إلى وطنه، فوافق أخيلليوس على الفور وقرر الاشتراك فى حرب طروادة.(٢)

أن ثيتيس بوصفها هدية زيوس إلى بيليوس كانت شبيهة بقصة هيلين بوصفها هدية أفروديت (Αφροδίτη) إلى باريس (Πάρις)

(1) Redfield. op. cit. p. 86.

(2) Adkins. Values p. 27.

وأعتقد أن هذا هو سبب تميز أخيلليوس عن أقرانه، فعلى الرغم من أن هدفه الوحيد من وراء حرب طروادة هو المجد الذي ينادى به ساربيدون وجلاوكوس وغيرهما من المحاربين الأخيين والطرواديين، إلا أنه كان على يقين من عدم عودته حياً إلى وطنه، فسوف يدفع حياته ثمناً للمجد الذى يحصل عليه؛ ولذلك فإن صورته، بجانبيها الإيجابى والسلبى، فى الإلياذة تختلف اختلافاً جذرياً عن باقى الأبطال.

وإذا كان بعض النقاد يقولون إن هوميروس لم يشر إلى أخيلليوس بأية صفة تختلف عن صفات باقى الأبطال، ومن الممكن تقويمه وفقاً لمقاييس البطولة البشرية. إلا أننا يجب ألا ننسى أن هوميروس قد ميزه فى نواح عديدة، فعلى سبيل المثال، عند مقارنته بباقى الأبطال كان هو الأسرع والأقوى وباختصار الأفضل، والأهم هو أن هوميروس وصف غضب أخيلليوس بالصفة (Μῆνις)، وقد قال بعض الباحثين: لم تَذكر تلك الصفة فى الأدب الإغريقى برمته لتعبر عن شعور إنسان ما، ولكنها كانت تعبر دائماً عن غضب الآلهة. وهذا الوصف لغضب أخيلليوس ليس مجرد تعبير عن مكانة أخيلليوس عند الآلهة، ولكنه إعلان من هوميروس بأن غضب أخيلليوس ليس غضباً إنسانياً ومن ثم عدم جدوى المحاولات الآدمية في تهدئة هذا الغضب، ويؤكد هوميروس على هذا حين يساوى بين غضب أخيلليوس وغضب أبوللون (Απόλλων)[1] بقوله، فى الكتاب الأول، عن غضبة أخيلليوس:

ἥ μυρί᾽ Αχαιοῖς ἄλγε᾽ ἔθηκεν[2]

التى ألحقت بالأخيين مآسى تفوق الحصر.

وبقوله عن غضب أبوللون:

τούνεκ᾽ ἄρ᾽ ἄλγε᾽ ἔδωκεν ἐκηβόλος ἠδ᾽ ἔτι δώσει
οὐδ᾽ ὅ γε Δαναοῖσιν ἀεικέα λοιγὸν ἀπώσει πρίν[3]

ولهذا فإن الإله الذى يطلق سهامه بعيداً قد

(1) Zanke.op. cit. p. 10f.

(2) Il. 1. 2.

(3) Ibid. 96-98.

صب المآسى فوق رؤوس الدانائيين

فنتيجة غضب أخيلليوس وأبوللون واحدة ويمكن التعبير عنها بكلمة "آلام" (ἄλγεα) التى أختارها هوميروس بنفسه.(١)

وعلى الرغم من وجود أبطال كثيرين من نسل الآلهة فى صفوف الجيش اليوناني والطروادى، إلا إننا لا نرى أى اتصال مباشر بين هذا البطل وذويه من الآلهة، فيما عدا أخيلليوس؛ والأكثر من ذلك كانت ثيتيس والدة أخيلليوس تتمتع بمكانة خاصة عند زيوس، فمثلما جاء على لسان أخيلليوس كان زيوس يدين بالفضل لثيتيس، فهى التى أنقذته عندما تآمر عليه بوسيدون وهيرا (Ηρη).(٢)

وقبل الخوض فى الحديث عن صورة أخيلليوس فى عيون الآخرين، يجب أن نشير إلى أنه إذا كان غضب أخيلليوس هو الموضوع الرئيس للإلياذة إلا أن شفقته كانت هي الموضوع المهيمن على أحداث الإلياذة، فالغضب والشفقة وجهان متناقضان للعملة نفسها، أو على وجه التحديد كان الغضب والشفقة هما المحركان الحقيقيان لتصرفات أخيلليوس، ولذلك كانت شفقته على الأخيين الذين يموتون بسبب الطاعون، بمثابة حافزاً دفعه إلى دعوة قادة الجيوش إلى البحث في أسباب هذا الطاعون، ومن ثم كيفية التخلص منه، ومن الممكن أن ننظر إلى شفقته هنا بوصفها تعبيراً عن دوره كمحارب إغريقى، يحاول مساعدة أصدقائه الإغريق فى نجاح حملتهم العسكرية.(٣)

---

(1) Nagy. op. cit. p. 73.

(2) Il 1. 396-406; Schein Schein. S. L "On Achilles' Speech to Odysseus", Iliad 9, 308-429. Eranos 78. (1980), 125-131. p. 126.

(3) Kim. J. op. cit, p. 29.

إن الفكرة التى توضح شفقة أخيليوس فى حد ذاتها ليست بجديدة، مثلما أُشير من قبل، فقد قيل من قبل أن أخيليوس أشفق على ايمولوس (أثناء الألعاب الجنائزية النشيد الثالث والعشرون، الأبيات ٥٣٤، ٥٤٨) وعلى باتروكلوس (عندما توسل إلى صديقه وهو يبكى أن يساعد الإغريق النشيد الخامس، البيت١٦) وكان الفعل المستخدم فى كل هذه الأمثلة هو oiktirein "أشفق على" ويتكرر مرتان من خلال العبارة البلاغية "وعندما رآه أشفق عليه" (النشيد الثالث والعشرون، البيت ٥٣٤، والنشيد السادس عشر، البيت الخامس)، وبذلك تبدأ شفقة أخيليوس أن تأخذ مكانها فى الإلياذة بوصفها ظاهرة أو فكرة متكررة.

كان سلوك أخيلليوس في هذا الموقف سلوكاً بطولياً هوميرياً، فالشفقة على الأصدقاء أو زملاء الحرب، وعدم الشفقة على الأعداء من شيم المحاربين عند هوميروس، وقد اتفق معظم النقاد على أن الشفقة على الأعداء ليست من السمات البطولية، وإن كان لابد من وجود الشفقة فيجب اقتصارها على رفاقه، فعلى سبيل المثال كان سلوك أخيلليوس مع جثمان هيكتور سلوكاً بطولياً من وجهة النظر الهوميرية [فهو يعبر عن البطل الهوميرى الذى يسخر من مصير الإنسان الأخير وهو الموت]. ومن ثم لا يكون مثيراً للدهشة، أن يتم تناول الشفقة، بصفة عامة، باعتبارها صفة مناقضة لسلوك الأبطال، وكما يقول رديفيلد "إن دور المحارب هو الذى يحدد سلوكه" ويستمر فى قوله "يجب على الأبطال الهوميريين أن يقهروا الرحمة والخوف وأن يتعلموا كيف يكتسبون فضيلتهم على حساب حياتهم أو حياة الآخرين" وبناء على وجهة النظر هذه، تبعد الأخلاق البطولية الشفقة من حساباتها.(١)

ويعترض "ماك كارى" (Mac Cary) على تحليل رديفايلد قائلاً: "إنه يحاول أن يختلق صورة لأخيلليوس مشابهة لصورة هيكتور، فيشبهه برجل يتعهد بالقيم الاجتماعية والمحافظة على رفاقه. كما اعترض على تشبيه أخيلليوس بشخصية هاملت على الرغم من أنه انتحارى مثله، فأخيلليوس ليس بالشخصية التراجيدية لأنه لم يشعر بالذنب، كما أنه لا يستطيع أن يشعر بالذنب لأنه لم يقبل حدوداً لرغباته.(٢)

كانت نتيجة هذا الاجتماع هو قرار أجاممنون بالاستيلاء على محظية أخيلليوس، الذى أعلن بدوره عن انسحابه من المعركة، وإلى هنا يبدو أن أخيلليوس الذى قرر الاشتراك فى الحرب بمحض إرادته، سوف يتراجع ويعود إلى وطنه، ولكننا نجده جالساً يبكى ويناجى أمه قائلاً:

(1) Redfield. op. cit. p. 87.

(2) Mac Cary W. TH. 'Childlike Achilles Ontogeny and Phylogeny in the Iliad. New York. Columbia Univ. (1982), p. 56.

οἵ οἱ πρόσθεν ἅμα τράφεν ἠδ᾽ ἐγένοντο
ἐν Πύλῳ ἠγαθέῃ, μετὰ δὲ τριτάτοισιν ἄνασσεν·
ὅ σφιν ἐὺ φρονέων ἀγορήσατο καὶ μετέειπεν·(1)

أماه، طالما أنك حملت بى حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة،
فقد كان على زيوس، سيد الأولمب ومطلق الرعد،
أن يمنحنى قدراً من الاعتبار،

ولا تعود أهمية هذه الأبيات إلى أنها توضح أن أخيلليوس كان يستمد قوته من أمه فقط، بل لأنها تكتنف إشارة ضمنية إلى دور ثيتيس الحقيقى فى حياة أخيليوس، فهو على يقين من أن زيوس سيقف إلى جانبه ويؤازره تكريماً لأمه، التى تظهر أمامه وتخاطبه قائلة:

οὐ γάρ πω τοίους ἴδον ἀνέρας οὐδὲ ἴδωμαι(2)

لماذا تبكى يا ولدى؟ أى أسى أصاب قلبك؟

ويسرد لها أخيلليوس قصته مع أجاممنون وكيف أنه أرسل الرجال ليأخذوا بريسئيس (Πρυσηΐς) من خيمته، ويطلب منها، فى نهاية حديثه، أن تذهب إلى زيوس وترجوه أن ينتقم لابنها من الأخيين.

يظهر أخيلليوس فى هذه الأبيات في موقف مناقض لموقفه السابق، فمنذ قليل كان حريصاً على تجاوز أزمة الطاعون، وكانت دعوته للاجتماع تعبيراً عن رغبته فى إنجاح الحملة، ولكنه الآن يطلب من أمه أن تتوسل إلى زيوس لكى يلحق الدمار بعشيرته وأن تفشل الحملة.

لم يكن هذا هو التناقض الوحيد الذى أشار إليه هوميروس في سلوك أخيلليوس، ففى الكتاب السادس (٤١٤-٤٢٨) تقول أندروماخى (Ανδρομάχη) لزوجها هيكتور: على الرغم من أن أخيلليوس قد دمر مدينة طيبة (Θήβα)، وقتل والدها الملك ايتيون (Ηετίων)، إلا أنه أظهر قدراً كبيراً من الاحترام للملك، ولم يسلبه أسلحته وأقام له مقبرة ونصباً تذكارياً.(٣) وقد

(1) Il. 1. 352 ff.

(2) Ibid. 362.

(3) Idem. 6. 417.

ظلت تلك الصورة عن شخصية أخيلليوس محفورة فى ذهن أندروماخى حتى الكتاب الثانى والعشرين عندما رأته يهين جثمان هيكتور زوج ابنة ايتيون.[١] وعندما التقى أخيلليوس مع ليكاؤن (Λυκάων) على أرض المعركة، أسره أخيلليوس ولم يقتله بل باعه بوصفه عبداً، ولكن عند مواجهتهما الثانية فى الكتاب الحادى والعشرين رفض أخيلليوس أن يصفح عنه[٢] وقال له:

πρὶν μὲν γὰρ Πάτροκλον ἐπισπεῖν αἴσιμον ἦμαρ
τόφρά τί μοι πεφιδέσθαι ἐνὶ φρεσὶ φίλτερον ἦεν
Τρώων, καὶ πολλοὺς ζωοὺς ἕλον ἠδ' ἐπέρασσα·
νῦν δ' οὐκ ἔσθ' ὅς τις θάνατον φύγῃ ὅν κε θεός γε
Ἰλίου προπάροιθεν ἐμῇς ἐν χερσὶ βάλῃσι
καὶ πάντων Τρώων,[3]

قبل أن يلقى باتروكلوس يوم مصيره، حتى ذلك الحين
كان يسرنى أن أبقى على حياة الطروادبين
لأخذ كثرتهم أحياء وأبيعهم فيما وراء البحر، أما الآن
فلن يفلت أحد منهم من الموت. فكل من تضعه الآلهة فى يدى
أمام إليون لن يفلت من الموت، كل الطروادبين بلا استثناء.

لم يكن سلوك أخيلليوس مع ليكاؤن، في لقائهما الأول، سلوكاً استثنائياً، بل كان تعبيراً عن طبيعة شخصية أخيلليوس، فهو شخص كريم يرحم الضعفاء، كما تزداد هذه الصفة وضوحاً أكثر عند مقارنة سلوك أخيلليوس مع أسراه . قبل مقتل باتروكلوس . بسلوك أجاممنون، فمن ناحية، عندما وقع ايسوس (Ἴσός) وانتيفوس (Αντιφός) ولدا برياموس (Πριάμος) . الشرعى وغير الشرعى . فى يد أجاممنون توسط لهما أخيلليوس عند أجاممنون ليبقي على حياتهما؛ ومن ناحية أخرى نجد أجاممنون يعترض على سلوك شقيقه مينيلاؤس (Μενελάος)، فعندما أسر

(1) Idem. 22. 468- 472.
عبرت أندروماخى عن شعورها فى تلك اللحظة بإلقاء الوشاح، الذى كانت أفروديتى (Ἀφροδίτη) قد أعطته لها بوصفها هدية زفاف، عن رأسها.

(2) Zanke G., op. cit. p. 8f; cf. Wilson. D. F. Ransom, Revenge and Heroic Identity in the Iliad. Cambridge. (2002) p. 9f.

(3) Il 21. 100-105; cf. Owen, E. T., the Story of the Iliad. Toronto. (1946).

مينيلاؤس أدرستوس(῾Αδρηστος) الطروادى، توسل إليه أدرستوس، وكاد مينيلاؤس أن يقبل الفدية ويطلق سراحه، ولكن أجاممنون اعترض على تصرف شقيقه ومنعه من الإقدام عليه قائلاً له:

ὦ πέπον ὦ Μενέλαε, τί ἢ δὲ σὺ κήδεαι οὕτως ἀνδρῶν;[1]

أى مينيلاؤس ذا القلب الرهيف، لم تعبأ هكذا بأمر الرجال؟

يختلف سلوك أخيلليوس فى الإلياذة اختلافاً جذرياً عن باقى الأبطال الهوميريين، وإذا كانت المبادئ البطولية تطالب بالشفقة على الأصدقاء وعدم رحمة الأعداء، إلا أن أخيلليوس يقدم لنا مفهوماً جديداً عن البطولة وفحواه هو الشفقة على الأصدقاء، والشفقة على الأعداء عند المقدرة، ولكن هذا الرأى يثير سؤالاً مهماً وهو إذا كان سلوك أخيلليوس مع الأعداء على هذا النحو، فما الذى جعله يقف موقفه العنيد من أجاممنون وجيوش الأخيين، وهل كان حرمانه من محظيته سبباً كافياً لينسحب من الحرب؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن فى توضيحنا لنقطتين مهمتين، أولاهما طبيعة غضب أخيلليوس، فهى تختلف اختلافاً جذرياً عن الغضب الإنسانى، فغضب أخيلليوس من نوع فريد لا يشعر به سوى الآلهة، ويتضح هذا من وصف هوميروس لغضبه بالكلمة (Μῆνις)، والنقطة الثانية هى إن بريسئيس لم تكن مجرد محظية لأخيلليوس، بل كانت رمزاً لشجاعته وبسالته وتضحيته في الحرب، ولذلك فإنه يرى حرمانه منها إنكاراً لدوره وتعبيراً عن تفاهة شأنه، ذلك الوجود الذى يرفض أخيلليوس المساس به. وفوق ذلك كان سلوك أخيلليوس فى الإلياذة قبل مقتل باتروكلوس مختلفاً كلياً عن سلوكه بعد مقتل باتروكلوس، وأعتقد أنه على الرغم من اشتراك أخيلليوس فى حرب طروادة وهو يعلم أنه لن يعود إلى وطنه مرة أخرى، إلا أنه تناسى هذا الأمر وأصبح سلوكه مثل باقى الأبطال يسعى إلى الحصول على جائزته التى تثبت تميزه؛ ولكن بعد موت باتروكلوس تذكر الموت وأيقن أنه سيمت لا محالة، فتغير سلوكه تماماً وعاد كما يجب أن يكون بطلاً هوميرياً يشفق على أصدقائه ولا يـــــرحم أعـــــداءه. أمـــــا عـــــن تطـــــور الأمـــــور بـــــين أخيلليـــــوس

(1) Kim. J. op. cit., p 58; Il. 6. 55f.

وأجاممنون حتى وصلت إلى هذا الحد، فسوف نتعرض له بالتفصيل فى موضع آخر من ذلك البحث حيث نتناول بالتحليل طبيعة العلاقة بين أخيلليوس وأجاممنون.(١)

ويرى ناجى أن صورة أخيلليوس معقدة بسبب تشعب الموضوعات المتعلقة بها. فكرامة أخيلليوس قد أُنتهكت، فغضب وانسحب من الحرب، وترك المحاربين الأخيين الآخرين في مواجهة هيكتور والطروادیين. ولكن الأخيون انهاروا بسرعة، وأُجبروا على تقديم طلبات المساعدة لأخيلليوس. وعلى الرغم من أن أخيلليوس يرفض أن يعود معهم إلى المعركة، إلا أن رفيقه باتروكلوس يصبح بديلاً له، وينقذ الأخيين ولكنه يُقتل بيد هيكتور؛ فيعود أخيلليوس إلى المعركة ويقتل هيكتور.(٢)

يمكننا وصف التناقض فى تصرفات أخيلليوس من أقصى درجات الغضب إلى أعلى درجات الشفقة، بوصفه تجسيداً لحالة عدم الاستقرار التي يعيشها، فتارة هو ابن لربة خالدة، ويرث عنها صفات تسمو فوق سمات البشر، وتارة أخرى هو ابن بشر فان سيلقى حتفه بعد انتهاء مهمته. أو كما يقول مويلير (Mueeler) إن وضع أخيلليوس يستلزم تأرجحاً أعظم بين أقصى درجات المعرفة والجهل.(٣)

لم يكن هذا التناقض ظاهراً فى تصرفات أخيلليوس فقط، بل كان ظاهراً في علاقته بالآلهة، فعلى سبيل المثال علاقة ثيتيس بأخيلليوس ذات أبعاد ثلاثة:

الأول: هو دورها الفنى فى الإلياذة، والذي يمكن تحديده بإثارة فكرة موت أخيلليوس الوشيك، وقد تمت الإشارة إلى هذه النقطة المحورية في وقت مبكر في الكتاب الأول:

τίμησόν μοι υἱὸν ὃς ὠκυμορώτατος ἄλλων ἔπλετ'.(4)

الذى سيكون قدره أن يلقى الموت أسرع من أقرانه.

---

(1) Wilson. op. cit,. p. 7f; Zanke. op. cit, p. 12.

(2) Nagy. op. cit. p. 75.

(3) Mueeler. op. cit .p. 105.

(4) Il. 1. 505f; cf. 352-356; 414-448.

الثانى: كان وجود ثيتيس فى حياة أخيلليوس مشابهاً تماماً لأسلحته السماوية، سواء التى أهدتها الآلهة لأبيه بيليوس، أو تلك التى صنعها له هيفايستوس (Ηφαιστος) بعد ذلك، وكلاهما يُظهر أخيلليوس بوصفه نصف إله، ولكنهما يشيران دائماً إلى ضعفه وفنائه الوشيك، ويظهر هذا واضحاً من حديث الجواد الخالد كسانثوس (Ξάνθος) إلى أخيلليوس،(١) ثم من حديث أخيلليوس نفسه بعد وفاة باتروكلوس، عندما يشكو عجزه عن الذهاب إلى ساحة القتال بدون أسلحة.(٢)

الثالث: وهو فيما أعتقد أهم الجوانب، والذى يوضح تأثره الشديد بأمه عبر أحداث الإلياذة، فعلى سبيل المثال، عندما أراد أن يصف دوره فى الجيش الإغريقى، وكيف أنه كان يعود بالغنائم الوفيرة من المدن القريبة من طروادة ويقدمها لأجاممنون، الذى يحتفظ بالنفيس منها ويوزع القليل، يقارن نفسه بالطائر الأم التى تسعى للحصول على طعام لصغارها وتعود لكى تطعمهم على الرغم من المشقة التى تتكبدها،(٣) فيقول عن نفسه:

ὡς δ᾽ ὄρνις ἀπτῆσι νεοσσοῖσι προφέρῃσι
μάστακ᾽ ἐπεί κε λάβῃσι, κακῶς δ᾽ ἄρα οἱ πέλει αὐτῇ,
ὡς καὶ ἐγὼ πολλὰς μὲν ἀϋπνους νύκτας ἴαυον,(4)

مثل الطائر الذى يحمل بمنقاره كسرات الطعام
لصغاره قليلة الخبرة ويطعمها إياها، رغم أنه فى شدة
الحاجة إليها. هكذا أنا، فكم من ليال مديدة وأيام عديدة قضيتها دون نوم.

كما يشبه باتروكلوس بالفتاة الصغيرة، بعد عودته من زيارته لمعسكر الأخيين فى الكتاب السادس عشر، التى تهرول باكية إلى أمها لكى تحتضنها:

(1) Idem. 19. 408-417.

(2) Owen. op. cit. p. 24.

(3) Schein. "On Achilles' Speech". p. 128.

(4) Il 9. 323-325.

τίπτε δεδάκρυσαι Πατρόκλεες, ἠΰτε κούρη
νηπίη, ἥ θ' ἅμα μητρὶ θέουσ' ἀνελέσθαι ἀνώγει
εἱανοῦ ἁπτομένη, καί τ' ἐσσυμένην κατερύκει,[1]

لماذا إذن تذرف دمعاً، يا باتروكلوس، كطفلة صغيرة
تلاحق أمها وتتوسل أن تحملها،
تتعلق بردائها وتعرقل خطوها السريع.

وتعكس هذه الإشارات مدى حساسية أخيلليوس تجاه مشاعر الوالدين نحو أبنائهم، وعلى ما يبدو أن هذه الحساسية قد تأصلت بداخله بسبب والديه، فبينما أمه، تلك الربة التى تعيش بعيداً فى قاع البحر، كان والده الشيخ الكبير يعيش بعيداً فى فيثيا (Φθίη)، ومع ذلك فقد كان هناك تناقض فى أدوار والديه، فأمه هى التى تتولى مقاليد أمور حياته، والنتيجة أن أخيلليوس أصبح متناقضاً في تصرفاته، فعندما أراد وصف أعماله العسكرية اقتبس صورة خاصة بمساعى الأم التى تكد من أجل صغارها.[٢] وموجز القول كان أخيلليوس يمارس الدور نفسه الذى تمارسه معه أمه ثيتيس، أما عن افتقاده لدور الأب فقد وجده فى شخص بريامو‌س، مثلما سنوضح بعد ذلك.

وبالإضافة إلى علاقة أخيلليوس بالآلهة من خلال ثيتيس، نجده كان على علاقة مباشرة ببعض الآلهة، وبصفة خاصة مع كل من زيوس والربة أثينة. فهو يرتدى درعاً ويستخدم أسلحة صنعها الإله هيفايستوس خصيصاً لوالده بيليوس، وعندما استولى هيكتور على هذه الأسلحة، صنع هيفايستوس أسلحة جديدة خصيصاً له، لا يستطيع أحد سواه أن ينظر إليها دون أن تفتنه،[٣] ومما لا شك فيه أن هذه الأسلحة تؤكد مكانة أخيلليوس المتميزة بين رفاقه الأبطال، كما يتكرر التكريم نفسه بمنح أخيلليوس خيولاً خالدة، بوصفها هدية من بوسيدون إلى بيليوس.[٤]

(1) Idem. 16. 7-9.

(2) Schein. "On Achilles' Speech" p. 128.

(3) Idem. 19. 14-18.

(٤) عن وصف درع أخيليوس أنظر:

Robert J. Rabel "the Shield of Achilles and the Death of Hector" Eranos. 87, (1989), pp. 81- 90.

يتضح أن الآلهة تهتم بأخيلليوس اهتماماً خاصاً من بداية الملحمة إلى نهايتها، وكان أخيلليوس يعلم ذلك ويتقبله كما لو كان أمراً عادياً، ففى الكتاب الأول عندما تُرسل الربة هيرا أثينة (Αθήνη) لتنصح أخيلليوس بألا يقتل أجاممنون، تظهر أمامه وتخاطبه بصورة مباشرة، فيرد أخيليوس سيفه إلى مكانه ويخاطب الربة بود، كما لو كانت صديقة حميمة، قائلاً:

τίπτ᾽ αὖτ᾽ αἰγιόχοιο Διὸς τέκος εἰλήλουθας;
ἦ ἵνα ὕβριν ἴδῃ ᾽Αγαμέμνονος ᾽Ατρεΐδαο;
ἀλλ᾽ ἔκ τοι ἐρέω, τὸ δὲ καὶ τελέεσθαι ὀΐω·
ᾗς ὑπεροπλίῃσι τάχ᾽ ἄν ποτε θυμὸν ὀλέσσῃ.[1]

لماذا عدت يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجبس؟ هل جئت لعلك
ترين صفاقة أجاممنون بن أتريوس؟ إذن سأخبرك، وفى
تصورى أن ما أقوله سيتم فعلاً.
إنه سيدفع حياته عما قريب ثمناً لاستعلائه المفرط ..

وفى الكتاب الثامن عشر كان يتحدث مع ايريس (Ιρις)، على الرغم من حزنه الشديد، بكل احترام، فسألها "كيف أذهب وليس معى أسلحة؟" (البيت ١٨٨) ولكنه استمع إلى نصائحها (البيت ٢٠٣)، ومن ثم توجته الربة أثينة بسحابة ذهبية أدخلت الرعب والخوف فى قلوب الطرواديين.[٢]

وعندما ينصحه فوينيكس بقبول هدايا أجاممنون، وأنه عندما يعود إلى الحرب سيجد تقديراً أكبر،[٣] يجيبه أخيلليوس بأنه ليس فى حاجة إلى هذا التقدير، فقد منحه زيوس التقدير الذى يستحقه ولا يزال:

Φοῖνιξ ἄττα γεραιὲ διοτρεφὲς οὔ τί με ταύτης
χρεὼ τιμῆς· φρονέω δὲ τετιμῆσθαι Διὸς αἴσῃ,[4]

(1) Idem.1. 202-205.

(2) Idem. 18. 203-206; 225 ff .

(3) Idem. 9. 600-605.

(4) Idem 9.607 to ll 9.608.

فوينيكس، يا والدى الشيخ، يا من رباك زيوس. إننى
لا أحتاج تقديرهم، فا أنا أعتقد أن زيوس منحنى تقديراً،

وفى الكتاب الرابع والعشرين عندما قررت الآلهة أن تطلب من أخيلليوس إعادة جثمان هيكتور كان هدف زيوس هو التأكيد على جدارته بذلك التكريم، فيقول:

ἐννῆμαρ δὴ νεῖκος ἐν ἀθανάτοισιν ὄρωρεν
Ἕκτορος ἀμφὶ νέκυι καὶ ᾽Αχιλλῆϊ πτολιπόρθῳ·
κλέψαι δ᾽ ὀτρύνουσιν ἐΰσκοπον ᾽Αργειφόντην·
αὐτὰρ ἐγὼ τόδε κῦδος ᾽Αχιλλῆϊ προτιάπτω[1]

قد شب نزاع بين الآلهة الخالدين منذ تسعة أيام
حول جثمان هيكتور، وأيضاً حول أخيليوس مدمر المدن؛
وطلبوا من أرجيفونتيس الرسول السريع، حاد البصر، أن يسرق الجثة،
ولكنى قد منحت ذلك الشرف لأخيلليوس.

والجدير بالذكر أن مساندة الآلهة لأخيليوس لم تقف عند حد إسداء النصائح، بل مساعدته أيضاً فى ساحة المعركة، فالآلهة تؤيده، وتنقذه إذا تعرض للخطر؛ فالإله بوسيدون هو الذى يسانده عند مواجهته النهر سكامندروس (Σκάμανδρος)، كما أن الربة أثينة لم تكتف بمنحه القوة التى ساعدته على الهروب من النهر الغاضب، بل أكدت له أنهما سيقتلان هيكتور سوياً وسيحققان نصراً كبيراً.[٢] والإله هيفايستوس هو الذي أشعل النار . بناء على تعليمات هيرا . التى تهزم النهر.[٣]

وعلى الرغم من أن هذا التأييد المستمر من الآلهة يؤكد تميز أخيلليوس، إلا أنه يؤكد أيضاً أدميته، وقد ظهر ذلك واضحاً من حديث الربة هيرا،[٤] حين تقول:

(1) Idem. 24. 107-110.

(2) Redfield. op. cit. p. 85.; Il. 22. 216-218.

(3) Ibid. 328-382.

(4) Schein S., The Mortal Hero. An Introduction to Homer’s Iliad. Univ. of California London. (1984), p. 90.

πάντες δ' Οὐλύμποιο κατήλθομεν ἀντιόωντες
τῆσδε μάχης, ἵνα μή τι μετὰ Τρώεσσι πάθῃσι
σήμερον· ὕστερον αὖτε τὰ πείσεται ἄσσά οἱ αἶσα
γιγνομένῳ ἐπένησε λίνῳ ὅτε μιν τέκε μήτηρ.(1)

أما نحن فقد نزلنا اليوم من الأوليمبوس لكى نشارك فى هذا القتال،
حتى لا يصيب الطرواديون أخيلليوس بأى أذى.
وبعد ذلك سوف يلقى ما خطته إلهة القدر آيسا على
مغزلها منذ البداية ساعة ولادته حين وضعته أمه

وموجز القول إن علاقة الآلهة بأخيليوس تؤكد أدميته، إلا أنها لا تنكر تميزه بين أقرانه، وقد انتقل الإحساس بالتميز إلى أخيلليوس، ولذلك كان سلوكه مع رفاقه يشوبه شئ من التعالى، ففى اللحظة التى نجد فيها أبطالاً مثل فوينيكس ونيستور يذعنان لأوامر أجاممنون بوصفه قائداً للجيوش، نجد أخيلليوس يقف له موقف الند، بل كان يعتقد أنه أفضل منه، مثلما سنوضح بعد قليل.

أخيلليوس . أجاممنون

لا تعود أهمية لقاء أخيلليوس مع أجاممنون إلى كونه سبب غضب أخيلليوس بوصفه الموضوع الرئيس للإلياذة فقط، بل لأهميته فى إلقاء الضوء على المفهوم البطولى مثلما يراه الأبطال الهوميريون أنفسهم.

عندما يحضر العراف خريسيس (Χρύσης) في بداية الإلياذة إلى معسكر الأخيين، طالباً افتداء ابنته خريسئيس (Χρυσηΐς)، طلب قادة الإغريق من أجاممنون (Αγαμέμνων) أن يقبل التعويض (ἄποινα)(٢) ويرد خريسئيس إلى أبيها، ولكن أجاممنون يرفض ويهين الكاهن، الذى يتضرع إلى أبوللون ويطلب منه أن ينتقم له، وبالفعل يستجيب أبوللون إلى طلب خريسيس ويُنزل

(1) Idem .20. 125-128.

(٢) أنظر: ص

بالأخيين طاعوناً يفتك بالكثير منهم، فتشفق الربة هيرا على الأخيين وتوحى إلى أخيلليوس بعقد اجتماع لقادة الجيوش لبحث أسباب هذا الوباء.

من المفترض أن غرض هذا الاجتماع هو بحث سبب الطاعون، ومن ثم علاجه. والطبيعي هنا أن يُظهر أجاممنون كياسة وفطنة في معالجة هذا الأمر، كما يجب على أخيلليوس أن يساعده في حل هذه المشكلة. ولكن كل الأحداث كانت تبشر بنشوب نزاع بين أجاممنون وأخيلليوس، فعند اجتماع القادة، طلب أخيلليوس من العراف كالخاس أن يخبرهم بسبب تلك الكارثة، فيطلب كالخاس من أخيلليوس الحماية، فيعده أخيلليوس بها، ومن ثم يقف أخيلليوس معلناً فتح باب المناقشة، ولم يترك هذا الدور لأجاممنون بوصفه قائداً للجيوش. لقد وضع أخيلليوس نفسه فى الجهة المعادية لأجاممنون وليس في صفه. وبعد ذلك يظهر أجاممنون على سطح الأحداث، ويجد نفسه محاصراً بعدة واجبات عليه أن يفعلها، مثل تبرير إصراره على الاحتفاظ بالفتاة، ومن ثم الدفاع عن نفسه، وأخيراً الاحتفاظ بسلطانه دون أن ينال منه أحد. ويقع أجاممنون في الشرك الذى نصبه لنفسه، فبعد أن يعلن عن قبوله رد الفتاة، يطالب بالمقابل، مع أن وجوده كملك كان يجب ألا يجعله يطلب مثل هذا الطلب، فالمنطقى أن يأتى هذا الاقتراح على لسان أحد القادة وليس منه هو شخصياً. لقد نزل أجاممنون بالموضوع إلى مستوى شخصى، ولم ينظر إليه بوصفه ملكاً مسئولاً عن سلامة جيوشه.(١)

(1) Adkins. " Values" p. 294.

اشترك فى أداء هذا المشهد كل من أخيليوس وأجاممنون وقادة الجيوش، بالإضافة إلى الآلهة التى كانت تهيمن على مجريات الأمور من بعيد، وتتدخل حين يتطلب الأمر، بل يمكننا القول إن هذا المشهد كان من تدبير الآلهة، سواء لرغبتها فى الوصول إلى النتيجة المحتومة وهى هدوء غضب أخيليوس، أو أن هوميروس هو الذى أعطى لها هذا الدور. فالربة هيرا هى التى توحى لأخيليوس بعقد الاجتماع، والعراف كالخاس هو الذى ينقل طلبات الإله أبوللون. علاوة على ذلك أن الربة هيرا باختيارها أخيليوس قد ساهمت مساهمة كبيرة فى اشتعال الخلاف، فالبديهى أن يقع اختيارها على أجاممنون بوصفه القائد الأعلى للجيوش الإغريقية، إلا أنها اختارت أخيليوس، ويرى البعض أن هيرا قد فعلت ذلك لأنها لا تستطيع التعامل مع الشخص الذى كان سبباً رئيساً فى تلك المشكلة، والبعض الآخر يرى أنها قد فضلت التعامل مع أخيليوس لأنه كان الأقرب للآلهة. كما يرى آخرون أن هذا كان بناء على رغبة هوميروس، لرغبته فى ظهور من البطل الأول فى عمله. وعندما

كان هدف هوميروس من هذا المشهد هو غضب أخيلليوس، ولذلك فقد حرص على توافر كل أسباب نجاحه، فمن ناحية كان أخيلليوس يعتقد أنه الأفضل، ولذلك أعطى لنفسه حق البحث فى الأمور السياسية، التي لا يتقنها، فعلاقته مع الآلهة بالإضافة إلى مكانته فى الجيش بوصفه محارباً من طراز فريد، لا يعطيه الحق في بحث تلك الأمور السياسية، خاصة وأن هناك من هو أحق منه بهذا الدور مثل فوينيكس ونيستور وأوديسيوس، ولكن إحساسه بالتميز جعله يعتقد أن قوته العسكرية تتفوق على قدرة أجاممنون السياسية ومكانته بوصفه ملكاً على كل ملوك الإغريق.(١)

ومن ناحية أخرى نشعر أن هوميروس قد أظهر أجاممنون فى ثوب الملك الضعيف، الذي لا يستحق ما وصل إليه من مكانة، فالظروف هى التى جعلته ملكاً على كل ملوك الإغريق، على الرغم من عدم كفاءته لهذا الدور، فشخصيته كانت ضعيفة إلى حد ما، بالإضافة إلى اتصافه بالقلق والظلم؛ وبطريقة أخرى كان هوميروس يرى دور أجاممنون الاجتماعى، بوصفه ملكاً، كبيراً عليه؛ فمسئولية الملك تجاه رعاياه تفرض عليه أن يعمل من أجل الصالح العام، ولكن أجاممنون نظر إلى نفسه فقط دون وضع سلامة الجيش في اعتباره، ذلك الجيش الذي لولاه ما أصبح ملكاً. وعلى الرغم من علمه بأن المسئولية التي تقع على كاهله بوصفه ملكاً تمنعه من فعل ما يحلو له، إلا أنه برر رغبته في الاحتفاظ بمحظيته بقوله "إنه قد أحبها". ولكن لأن أجاممنون كان ملكاً، لم يكن مسموحاً له أن يسير وراء رغباته. فهو بوصفه ملكاً كان أكثر قوة من المحيطين به، ولكنه فى الوقت نفسه كان أقلهم حرية.(٢)

يثور أخيليوس ويهم بقتل أجاممنون تظهر أمامه الربة أثينة لتمنعه من هذا الفعل. وبعد ذلك تظهر الحورية ثيتيس وتطلب من ابنها أن يصر على غضبه وأن يبقى ماكثاً بجوار سفنه بعيداً عن ساحة القتال.

(1) Adkins. " Values". p. 297.

(2) Redfield. op. cit. p. 13.; Cf. Schein. Mortal Hero. p. 88.

تتضح مواصفات الملك من حديث أودسيوس فى الكتاب الثانى (٢٠٤، ٢٠٦ ...) أما عن دور الملك، فيتضح من حديث نيستور فى الكتاب التاسع (الأبيات ٦٩–٧٥ ...)، (٩٦–١٠٢ ...) وباختصار كان دور الملك ومكانته يستلزم أن يكون سريع الاستجابة ومسئولاً، وعليه أن يستمع إلى النصائح ويحولها بعد ذلك إلى سياسة

وباختصار كان لقاء أخيلليوس وأجاممنون مثيراً للمشكلات، فكل منهما يضمر للآخر عداوة لا نعرف سببها، ولكنها واضحة تماماً، وتظهر تلك العداوة من فاتحة حديث أجاممنون مع كالخاس، حين يقول له:

αἰεί τοι τὰ κάκ' ἐστὶ φίλα φρεσὶ μαντεύεσθαι,
ἐσθλὸν δ' οὔτέ τί πω εἶπας ἔπος οὔτ' ἐτέλεσσας·
καὶ νῦν ἐν Δαναοῖσι θεοπροπέων ἀγορεύεις
ὡς δὴ τοῦδ' ἕνεκά σφιν ἑκηβόλος ἄλγεα τεύχει,[1]

يا نذير الشؤم، إنك لم تتحدث معى بالخير حتى الآن،
فنبوءات الشر هى الحبيبة إلى قلبك دائماً، أما الكلمة الطيبة
فإنك لم تأت بها قولاً أو فعلاً حتى الآن.

إن حديث أجاممنون هنا يوحى بأن كالخاس قد سبق وأوحى بنبوءة لم تجد هوى فى قلب أجاممنون، ونحن لا نعلم سوى نبوءته بعدم سقوط طروادة إلا بوجود أخيلليوس، لقد كان أجاممنون يخشى وجود أخيلليوس بين صفوف الجيش، فهو على يقين من أن أخيلليوس هو الأفضل.(٢)

وتظهر أهمية تلك الجائزة المادية التي تعبر عن التقدير من رفض أجاممنون الانتظار ليحصل على تعويض يعادل ثلاث أو أربع مرات ما فقده، فهو لا يريد تعويضاً،(٣) بل يريد جائزته التى نالها بعد أن أظهر "تميزه" (αρετή). وتكمن مشكلته فى عدم قدرته على التوفيق

عامة. والجدير بالذكر أن أجامنون لم يقم باختيار هذا الدور، بل أن الظروف المحيطة هى التى فرضت عليه القيام به.

(1) Idem. 1. 107-110.

(٢) أنظر المقدمة

(٣) كان رفض أخيليوس هدايا أجاممنون لأنها كانت بمثابة تعويض. والجدير بالذكر هنا، أننا لا نرى أى قائد من قادة الجيوش الإغريقية يعلن عن تنازله عن جائزته لأجاممنون حتى ينهى هذا الصراع، فكل شخص جاء إلى الساحل الطروادى لينال التقدير، الذى يتم التعبير عنه فى تلك الصورة المادية، علاوة على أن المبادئ البطولية التى تنظم العلاقة بينهم لا تلزم أى شخص بالتنازل عن جائزته، ومن ناحية أخرى كان عدم اعتراضهم على قرار الملك هو التزام أخلاقى بالخضوع لقرارات الملك.

بين وضعه كملك من ناحية، وكمحارب من ناحية أخرى. فهو يرى فى احتفاظه بالفتاة تقليلاً من قدره بوصفه ملكاً، كما يعتبر موافقته على رد الفتاة تقليلاً من قدره بوصفه محارباً. فخريسئيس كانت جائزته (γέρας)، أو برهانه المادى على التميز، وإذا ما فقد تميزه، فإنه سوف يفقد مكانته، ولذلك فإنه يوافق على عودة الفتاة ولكنه يشترط حصوله على جائزة أخرى.(١) فيقول:

αὐτὰρ ἐμοὶ γέρας αὐτίχ᾽ ἑτοιμάσατ᾽ ὄφρα μὴ οἶος
᾽Αργείων ἀγέραστος ἔω, ἐπεὶ οὐδὲ ἔοικε·
λεύσσετε γὰρ τό γε πάντες ὅ μοι γέρας ἔρχεται ἄλλῃ.(2)

ولكن عليكم (فى مقابل ذلك) أن تعدو لى غنيمة على الفور،
حتى لا أكون الوحيد من بين حشود أرجوس
الذى لم يحصل على غنيمة.

عندئذ يهدده أخيلليوس بالانسحاب، فيقول له أجاممنون، إذا كانت تريد الذهاب فلتذهب، ومن ثم يعلن أنه سوف يأخذ بريسئيس . جائزة أخيلليوس، والتى كانت بمثابة تقدير الجيوش لأعماله البطولية . فيهم أخيلليوس بقتله، ولكن الربة أثينة هى التى تمنعه، وينتهى الحدث باستيلاء أجاممنون على بريسئيس وانسحاب أخيلليوس من الجيش، تعبيراً عن غضبه.(٣)

لقد وجد أجاممنون فرصته، فى قرار أخيلليوس بالانسحاب، فحول الأمر إلى مسألة شخصية، واستغل وضعه بوصفه ملكاً لكى يستولى على جائزة أخيلليوس، ولكى يثبت لأخيلليوس أنه هو الأفضل، فيقول:

ὁ᾽σσον φέρτερός εἰμι σέθεν, στυγέῃ δὲ καὶ ἄλλος
ισον ἐμοὶ φάσθαι καὶ ὁμοιωθήμεναι ἄντην.(4)

حتى تعلم جيداً كم أنا أرفع منك قدراً، وحتى يرتدع كثيرون غيرك

---

(1) Redfield. op. cit. p. 15.

(٢) Idem. 1. 118-120.

يشير البيت ١١٩ إلى أن كل القادة الأرجسيين قد تسلموا جوائزهم بعد توزيع الغنائم.

(3) Redfield. op. cit. p. 85

(4) Idem. 1. 186f.

عن أن يعلن أى منهم فى حضورى إنه ند لى.

وهذا هو خطأ أجاممنون، أو حماقته بمعنى أكثر دقة، كما قال هو:

ἀλλὰ καὶ ὡς ἐθέλω δόμεναι πάλιν εἰ τό γ' ἄμεινον·(1)

لقد تصرفت بحماقة، ولن أنكر ذلك أبداً.

فتلك الحماقة هى التى جعلته يتهور ويتوهم فى نفسه القدرة على تحقيق ما لم يمكن تحقيقه، وإذا كانت حماقة أجاممنون هنا توهمه بالقدرة على مواجهة غضب أبوللون ومن بعده أخيلليوس، فهى الحماقة نفسها التي تجعل أخيلليوس يقف موقفاً معادياً لأجاممنون، فأخيلليوس هو الذي بدأ الهجوم على أجاممنون، فبعد رد أجاممنون على العراف كالخاس، يقوم أخيلليوس موجهاً حديثه إلى أجاممنون قائلاً:

πῶς γάρ τοι δώσουσι γέρας μεγάθυμοι ᾽Αχαιοί;(2)

يا ابن أتريوس، يا أمجد الناس وأكثر الناس طمعاً فيما ليس من حقه.

والأكثر من ذلك أن أخيلليوس أبى تأجيل الصدام بينهما، فبعد أن أعلن أجاممنون أنه سيأخذ جائزة أحد القادة، إذ بأخيلليوس يرد عليه فى غضب واستهزاء ويتهمه بأنه أكثر الناس جشعاً "φιλοκτεανώτατος". فهو يستولى على النفيس من الغنائم التى يجمعها هو وباقى المحاربين.(٣)

وبينما كان اعتداء أجاممنون على أخيلليوس انتهاكاً للمبادئ البطولية التي يخضع لها كل فرد فى الملحمة. كان قرار أخيلليوس بالانسحاب منطقياً، ولكن يؤخذ عليه أنه طلب من أمه أن تسأل زيوس أن ينصر الطرواديين وأن يُقتل رفاقه، فهذا التصرف لا يليق بشخص أخيلليوس، خاصة وأنه يعلم علم اليقين أن عمره قصير،(٤) فهو الذى يقول لأمه:

(1) Idem. 9. 116, 119f.

(2) Idem. 1. 122

(3) Adkins. "Values". p. 290.

(4) Long A. A. "Moral and Values in Homer" JHS. V. XC. (1970), pp. 121-130. p. 122.

μῆτερ ἐπεί μ᾽ ἔτεκές γε μινυνθάδιόν περ ἐόντα,[1]

لقد أنجبتنتى لأجلى القصيرة.

وتُجيبه ثيتيس قائلة:

αἴθ᾽ ὄφελες παρὰ νηυσὶν ἀδάκρυτος καὶ ἀπήμων
ἧσθαι, ἐπεί νύ τοι αἶσα μίνυνθά περ οὔ τι μάλα δήν·
νῦν δ᾽ ἅμα τ᾽ ὠκυμορος καὶ ὀϊζυρὸς περὶ πάντων ἔπλεο·[2]

يا لحظى العاثر، ولداه، أمن أجل هذا (الوضع المحزن) كانت
تنشئتى إياك، لقد أصابك سوء الطالع وأنا حامل بك، لكم تمنيت
أن يتركوك وشأنك بجانب السفندون دموع أو أسى. ولكن قدرك
هو الموت السريع والتعاسة أكثر من كل البشر .

لم يكن موقف أخيلليوس أهون (على نفسه) من موقف أجاممنون (أمام نفسه)، فأخيلليوس يرى فى نفسه أنه الأفضل، وإنه سيشعر بالمهانة إذا تهرب من مواجهة أجاممنون، وبوصفه محارباً فريداً لجأ إلى سيفه ليبرهن على قدرته، ولكن الربة أثينة هى التى تمنعه، ويرضخ أخيلليوس لتدخل الربة، ولكنه يخاطب أجاممنون قائلاً:

δημοβόρος βασιλεὺς ἐπεὶ οὐτιδανοῖσιν ἀνάσσεις·
ἦ γὰρ ἂν ᾽Ατρεΐδη νῦν ὕστατα λωβήσαιο.[3]

أيها الملك المفترس لشعبه، لابد أنك تحكم رجالاً لا قيمة لهم،
وإلا فإنك يا ابن أتريوس تكون قد ارتكبت آخر وقاحتك اليوم.

وعلى الرغم من أهمية هذا المشهد فى إلقاء الضوء على السبب الحقيقى لغضب أخيلليوس، إلا أنه من ناحية أخرى يلقى الضوء على العالم البطولى وحدوده الأخلاقية من خلال التركيز على سلوك الشخص "الفاضل".

(1) Idem. 1. 352.

(2) Idem. 1. 415-18.

(3) Adkins. " Values". p. 298; Il. 1. 231f.

عندما يشتد النزاع بين أجاممنون وأخيلليوس، يقف نيستور المحارب الشيخ ليحاول تهدئة الموقف بينهما، ويذكرهما بهدف البعثة إلى طروادة، ويقر نيستور بحقيقة سيادتهما على جميع الدانأيين (Δαναοι) ويطلب منهما توظيف قدراتهما سواء الحربية أو السياسية لصالح جيوشهما، والأكثر من ذلك يوضح نيستور الواجبات التى يفرضها موقعهما، فيقول لأجاممنون:

μήτε σὺ τόνδ' ἀγαθός περ ἐὼν ἀποαίρεο κούρην,
ἀλλ' ἔα ὥς οἱ πρῶτα δόσαν γέρας υἷες Ἀχαιῶν·(1)

(أنت يا ابن أتريوس) لا تحاول رغم ما لك من مكانة سامية، أن تستولى على الفتاة،
ولكن دع الأمر على ما كان عليه حين أعطاه أبناء الأخيين إياها غنيمة له.

ويوجه حديثه لأخيلليوس قائلاً:

μήτε σὺ Πηλείδη θελ' ἐριζέμεναι βασιλῆϊ
ἀντιβίην, ἐπεὶ οὔ ποθ' ὁμοίης ἔμμορε τιμῆς
σκηπτοῦχος βασιλεύς, ᾧ τε Ζεὺς κῦδος ἔδωκεν.(2)

وأنت يا ابن بيليوس، لا تفكر فى مقارعة الملك،
قوة فى مقابل قوة، مهما كان لك من شأن، فإن مجد
الملك الذى منحه زيوس الصولجان ليس مجداً عادياً.

ويتقبل أجاممنون ما قاله نيستور، ولكن أخيلليوس يقاطع أجاممنون، ويكيل له الوعيد إذا اقترب من ممتلكاته، أما عن الفتاة فيعلن أنه لن يحارب من أجلها، وبتلك الكلمات ينفض الاجتماع ويذهب كل منهما إلى خيمته.

كان قصد نيستور هنا هو أن الشخص الفاضل يجب أن يرقى بتصرفاته ليعبر عن استحقاقه ذلك السمو الذى تمنحه له صفة "الفاضل" (ἀγαθός)، أو بصورة أخرى يجب عليه ألا يفعل ما ينقص من قدره بوصفه فاضلاً، ويتفق "لونج" (long) مع أدكينز (Adkins) فى رأيه، ويقول إن نيستور أراد أن يقول لأجاممنون "لا تأخذ فتاة أخيلليوس إذا كنت ترى انك فاضل (ἀγαθός)، لأن أبناء الأخيين هم الذين وهبوها له بوصفها جائزة (γέρας)؛ فكونك (ἀγαθός)

(1) Idem. 1. 275ff.

(2) Ibid. 277ff.

لا يعطيك الحق فى أن تتجاهل قرار الجيش". والحقيقة أن أجاممنون قد تصرف بوصفه ملكاً على الصولجان (σκηπτοῦχος βασιλεύς) يستخدم سلطانه ليحافظ على مكانته كمحارب فاضل (ἀγαθός).[١]

وموجز القول: يوضح حديث نيستور الحدود الفاصلة بين المحارب، أياً كانت مكانته، والملك. وبناء على هذا نرى أن أخيلليوس قد شارك أجاممنون الخطأ، ولكن إذا كان خطأ أجاممنون يكمن فى محاولته استغلال سلطانه بوصفه ملكاً ليحافظ على جائزته بوصفها تقديراً لأعماله فى الحرب، فإن خطأ أخيلليوس يكمن فى غروره الذى منعه من الاعتراف بسلطة أجاممنون بوصفه ملكاً. وبطريقة أخرى كان أخيلليوس، بوصفه ابناً لربة خالدة، يرفض الإذعان لرأي إنسان وخاصة لو كان في مكانة أبيه، فهو لم ينشأ على طاعة والده، أو بمعنى آخر لم يرى أخيلليوس فى شخص أجاممنون أو أى شخص آخر من الأخيين، من هو الجدير بمكانة الأب، ولكنه حين وجد هذا الأب فى شخص برياموس أشفق عليه واستجاب إليه على الفور، وهذا ما سنلقى الضوء عليه فيما بعد.[٢]

(1) Long A. A. “Moral and Values in Homer” JHS. V.XC. (1970), pp. 121-130. Adkins. “Values”, p. 295.

(٢) يقول أدكينز فى كتابه (Adkins., Merit. p. 23-1) اختلفت أراء الباحثين حول سلوك أخيليوس المهين لجثمان هيكتور، فالبعض يرى أن هذا السلوك من جانب أخيليوس كان سلوكاً بطولياً طبقاً لمعايير المجتمع الهوميرى، ويقول أدكينز: إن الآلهة لا تؤيد تصرفات أخيليوس، ولكن من الواضح أن كونه (ἀγαθός) يعطيه حججاً قوية ليفعل ما يروق له على الرغم من عدم موافقة الآلهة والبشر. ويرد لونج على رأى أدكينز، ويقول لم تقف كل الآلهة موقف الاستياء من تصرفات أخيليوس، بل على العكس، كانت هيرا غاضبة من لوم أبوللون، ويعضد زيوس رأى أبوللون، فهو يرى أن هيكتور له أيضاً مكانته المتميزة، ولذلك يستدعى ثيتيس إلى الأولمب لكى تنقل استياء الآلهة إلى أخيليوس، كما يقول أن العبارة (ἀγαθῷ περ ἐόντι) تعبر عن رفض الآلهة لتصرفات أخيليوس، بل توضح وجود حدود لتصرفات أى شخص يكون (ἀγαθός) دون فقدان تعضيد الآلهة.

صورة أخيلليوس فى الكتاب التاسع:

تظهر الأهمية الدرامية للكتاب التاسع من أحداث الكتاب الثامن، فبينما كانت الجيوش الإغريقية تقضى ليلة كئيبة، كانت جيوش الطرواديين تقضى ليلتها على التل، وكل فرد يُمنى نفسه بانتصار ساحق على الإغريق فى الصباح. ومن ثم يُفتتح الكتاب التاسع بأجاممنون وهو يتحدث مع جيوشه حول الانسحاب والعودة إلى الوطن، فيتدخل نيستور ويطلب إرسال بعثة إلى أخيلليوس تحاول استرضائه وإقناعه بالعودة إلى صفوف الأخيين. ويقع الخيار على كل من أوديسيوس صاحب الحيل الواسعة، وأياس أقرب الأصدقاء إلى أخيلليوس، وفوينيكس لما يتمتع به من مكانة وتقدير عند أخيلليوس.(١)

يُعد الكتاب التاسع من أهم كتب الإلياذة، فمن ناحية كان تعبيراً عن ذروة غضب أخيلليوس الذي بدأ فى الكتاب الأول، ومن ناحية أخرى كان تعبيراً عن رحلة البحث عن الذات التى بدأها أيضاً فى الكتاب الأول، ولكني أعتقد أن أهمية الكتاب التاسع تعود إلى تعبيره عن مأساة

(1) Wilson. D. F. Ransom, Revenge and Heroic Identity in the Iliad. Cambridge. (2002), p. 77; cf. Schein S , The Mortal Hero. p. 307.

اختلف الباحثون حول تقييم الكتاب التاسع، فقال البعض إنه بمثابة المفتاح التراجيدى للملحمة علاوة على أنه يربط أحداث الملحمة بعضها البعض، فبفضل الكتاب التاسع أصبحت الملحمة عملاً واحداً. ويرى آخرون إن الكتاب التاسع يقدم لنا دراسة أخلاقية حول كرامة البطل وتقييمها أو بالتحديد المقابل المادى لكرامة البطل الهوميرى. والأهم من ذلك كله أنه كان نواة لدراسات عديدة حول كرامة أخيليوس البطولية وبراعة هوميروس الفذة.

تذكرنا افتتاحية الكتاب التاسع بالكتاب الأول، حيث كانت الصورة السائدة هى موت الأخيين بسبب الطاعون الذى أرسله عليهم، ومن ثم محاولة قادة الإغريق البحث عن دواء لهذا الوباء، ومن ناحية أخرى كان الكتاب التاسع بوصفه حدثاً دراماياً يأتى بعد وصف لحالة الإغريق المذرية على أيدى الطرواديين، والجدير بالذكر أن أحداث الكتاب الأول كانت بسبب غضب أبوللون. ومن ثم كانت أحداث الكتب من الثانى إلى الثامن نتيجة لقرار زيوس بمنح السيادة للطرواديين، ينتهى الكتاب الثامن بنزول الليل، ليقضى كل من الأخيين والطرواديين ليلة مصيرية، فكلاهما يعلم أن اليوم التالى هو اليوم الحاسم فى هذه الحرب، والوضع القائم يقول إن الطرواديين سيحققون نصراً مجيداً على الأخيين.

أخيلليوس الحقيقية، وهى عدم قدرته على التأقلم مع مبادئ المجتمع الذي يعيش فيه ولا يستطيع هجره فى الوقت نفسه.(١)

١ . أخيلليوس وأوديسيوس

ترجع أهمية حديث أخيلليوس مع أعضاء البعثة إلى أنه أبرز كل المبادئ الأخلاقية التى تنظم العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، من خلال إثارة مفهوم الشفقة عند أخيلليوس، والجدير بالذكر أن فكرة إثارة شفقة أخيلليوس في هذا الجزء ليست بجديدة على مضمون الإلياذة، فشفقته هي التى جعلته يطالب قادة الجيوش بعقد اجتماع لبحث أسباب الطاعون فى الكتاب الأول. فالشفقة عند الإغريق لم تكن مجرد مشاعر دفينة، بل كانت حافزاً لعمل ما.(٢)

بدأ أوديسيوس حديثه بوصف حالة الأخيين المُذرية، مقارنة بحالة الطرواديين:

Τρῶες ὑπέρθυμοι τηλεκλειτοί τ᾽ ἐπίκουροι
κηάμενοι πυρὰ πολλὰ κατὰ στρατόν, οὐδ᾽ ἔτι φασὶ
σχήσεσθ᾽, ἀλλ᾽ ἐν νηυσὶ μελαίνῃσιν πεσέεσθαι.(3)

لقد أشعل الطرواديون الأشاوس وحلفاؤهم ذائعو الصيت

(1) Jenkyns R. classical world series. Classical epic: Homer and Virgil. Bristol Classical press. p. 21.

(٢) تقول جينيو كيم (Kim. J.op. cit. p. 74.) من الواضح أن شفقة أخيليوس أو عدم شفقته ليست مجرد فكرة تصادفية (عرضية) بل هى تمثل موضوعاً هاماً، أولاً: يتم تأكيد هذه الفكرة من خلال بعض التعبيرات البلاغية والمتضادات لها التى لا تحدث أكثر من أربع مرات وتكون مقتصرة على أخيليوس، (لأن الحالة الموجودة فى النشيد الحادى عشر، البيت ٨١٤ مخصصة لشفقة باتروكلوس). ثانياً: تأتى هذه الفكرة مع الأحداث ذات الأهمية المحورية للحبكة الدرامية الخاصة بالإلياذة، مثل البعثة وعودة باتروكلوس ثم عودة أخيليوس نفسه والألعاب الجنائزية وتوسل برياموس. ثالثاً: الفكرة تكون متطورة فى نموذج موسيقى، الذى يشكل البناء الفنى للقصيدة: لكى تُظهر أن فكرة عدم شفقة أخيليوس على أصدقائه تؤدى إلى شفقته على باتروكلوس، وفكرة عدم رحمته تجاه الطرواديين تؤدى إلى شفقته على برياموس. وبتلك الطريقة يتم إيجاد الحل مرتين للرواية الخاصة بعدم شفقته، مثلما يحدث، فيما يخص فكرة شفقته.(من خلال وجهة النظر أن شفقة أخيليوس فى الألعاب الجنائزية تمارس دورها بوصفها ملحوظة عن التغيير فى السلوك قبل الحل النهائى)

(3) Idem. 9. 233ff.

نيراناً كثيرة فى جميع أنحاء المعسكر

كان أوديسيوس متحدثاً لبقاً، وقد لجأ إلى كل الوسائل البلاغية ليحقق هدفه، وهو إثارة شفقة أخيلليوس على الأخيين، التى ستترتب عليها عودته إلى صفوف الجيش، فيقول:

εἰ δέ τοι ᾽Ατρεΐδης μὲν ἀπήχθετο κηρόθι μᾶλλον
αὐτὸς καὶ τοῦ δῶρα, σὺ δ᾽ ἄλλους περ Παναχαιοὺς
τειρομένους ἐλέαιρε κατὰ στρατόν,[1]

حتى لو كنت تكره ابن أتريوس من كل قلبك،
وتكره هداياه، فلترحم كافة الأخيين الآخرين
الذين أصابهم الحزن فى جميع أنحاء الجيش.

يحاول أوديسيوس في هذه الأبيات أن يثير دور المفهوم البطولي في تحديد العلاقة بين الملك ورعاياه من خلال الحديث عن علاقة أخيلليوس بالأخيين، فهو يرى أن العلاقة بين طرفين علاقة تبادلية، فمن ناحية يقوم الشعب بتمجيد الملك، وعلى الملك، من ناحية أخرى، أن يشفق على هذا الشعب، فيقول إن الأخيين لم يسيئوا إلى شخص أخيلليوس قط، ولا يستطيع أخيلليوس أن ينكر أنهم قدروه حق قدره وسوف يستمرون فى تقديره (τείσουσι)، فهم قد فعلوا ما يجب عليهم، والآن ينتظرون منه أن يشفق عليهم، ويذكرنا حديث أوديسيوس هنا بكلمات ساريبدون مع جلاوكوس الذي يوضح فيه أن المفهوم البطولي التزام شخصى واجتماعى يعزز فكرة الترابط الاجتماعى الهوميرية.[٢]

اتفق أوديسيوس مع أعضاء البعثة على ألا يعيدوا على مسامع أخيلليوس كلمات أجاممنون المتغطرسة، وفضل أن يُذكر البطل الشاب بنصائح والده بيليوس حول مفهوم البطولة، لكي يلتزم بالمبادئ الأخلاقية التى تلزمه بالوقوف إلى جانب أصدقائه وقت الشدة، ولا يعطى

(1) Ibid.9. 300ff.

(2) Hainsworth. B. , op. cit. v. 111. books 9-12. p. 99.

فرصة للخلاف أن يدب بينهم، أو بمعنى آخر أن يشفق عليهم، وأن يقبل إمارة أجاممنون بصفته الأكبر سناً، أو بصورة أخرى يعامله كما لو كان والده بيليوس[١] فيقول:

ἴσχειν ἐν στήθεσσι· φιλοφροσύνη γὰρ ἀμείνων·
ληγέμεναι δ' ἔριδος κακομηχάνου, ὄφρά σε μᾶλλον
τίωσ' ᾽Αργείων ἠμὲν νέοι ἠδε γέροντες.[2]

واجتنب الشقاق جالب الفتنة يبجلك

الأرجيون جميعاً، صغارهم وكبارهم.

بهذا أمرك الشيخ المسن ولكنك أهملت نصيحته.

لم يستند أوديسيوس فى حديثه على عبارات التوسل ليثير شفقة أخيلليوس، بل حاول أيضاً أن يثير همة المحارب فى نفس أخيلليوس، بإثارة غيرته من انتصارات هيكتور العسكرية،[٣] فيقول له:

Εκτωρ δὲ μέγα σθένεϊ βλεμεαίνων
μαίνεται ἐκπάγλως πίσυνος Διί, οὐδέ τι τίει
ἀνέρας οὐδὲ θεούς·[4]

ويسطع نجم هيكتور مفعماً بالقوة،

لقد استبد به الغضب الشديد، ولأنه يعتمد على

تأييد زيوس، ولم يعد يحترم بشراً ولا الآلهة.

لقد امتلأت نفسه بغضب مجنون.

ومن ثم يشير، بطريق عرضية ولكنها ذات معنى، أنه يجب معاقبة هيكتور على وقاحته، التى زادت عن حدها:

---

(1) Jenkyns. op. cit. p. 18f.

(2) Idem. 9. 256ff.

(3) Mac Cary W.TH. 'childlike Achilles ontogeny and phylogeny in the Iliad. New York. Columbia Univ. (1982), p. 55.

(4) Idem. 9. 237ff.

νῦν γάρ χ᾽ Ἕκτορ᾽ ἔλοις, ἐπεὶ ἂν μάλα τοι σχεδὸν ἔλθοι
λύσσαν ἔχων ὀλοήν, ἐπεὶ οὔ τινά φησιν ὁμοῖον
οἳ ἔμεναι Δαναῶν οὓς ἐνθάδε νῆες ἔνεικαν.(1)

والآن يجب عليك أن تقتل هيكتور، فقد يهاجمك
فى نوبة جنون مدمرة، إذ يعتقد أنه يتفوق
على جميع الدانائيين الذين أحضرتهم السفن إلى هنا.

وباختصار كان هدف حديث أوديسيوس أن يعتنق أخيلليوس من جديد المفهوم البطولى الهوميرى، بدون وضع مشاعره تجاه أجاممنون في الاعتبار، وأن يعتقد أن أهم شئ عند الأبطال، وبالذات أخيلليوس، هو أن يشفق على أصدقائه المتورطين الآن وينقذهم، بل على العكس يجب أن يظهر عدم شفقته لعدوه، ويقتل هيكتور. ويجب عليه أن يفعل ذلك، ليس من أجل أجاممنون، ولا حتى من أجل أصدقائه الأخيين، بل من أجل قيمته هو وشهرته.(٢)

وكانت الإشارة إلى الجوائز البطولية والتقدير الذي ينتظر أخيلليوس هو آخر أسلحة أوديسيوس البلاغية، فيؤكد أوديسيوس له أن جوائز البطولة الحقيقية تنتظر عودته، مثل التكريم والشهرة. المهم هو أن يشفق أخيلليوس على أصدقائه الأخيين ويساعدهم، لأن هذا هو طريق حصول الأبطال على فضيلتهم، مثلما علمه والده.(٣)

ἦ γάρ κέ σφι μάλα μέγα κῦδος ἄροιο·
νῦν γάρ χ᾽ Ἕκτορ᾽ ἔλοις,
وسوف تكون مكانتك رفيعة بينهم.
والآن يجب عليك أن تقتل هيكتور

لقد تعرض وضع أخيلليوس ولغته لكثير من النقد، فتقول مارتين (Martin) نقلاً عن بارى: على الرغم من أن أخيلليوس قد عبر عن خيبة أمله وصدمته في المجتمع الذى يعيش فيه، إلا أننا لا نستطيع القول إن إلياذة هوميروس تحتوى على عبارات خاصة للتعبير عن هذا الشعور، ولكن

(1) Ibid. 304ff.

(2) Jenkyns. op. cit. p. 20.

(3) Nagy. op. cit. p. 83.

أخيلليوس نجح فى التعبير عن موقفه عن طريق استخدام الكلمات والعبارات نفسها التى ترسخ قواعد المفهوم البطولى ولكن فى وضع يجعلها تظهر مضادة لمعناها المفترض.[١]

وعلى الرغم من النقد الشديد للغة أخيلليوس، إلا أنها هى اللغة التى وصف بها الشاعر الشخصية الأولى فى عمله، فقد أراد هوميروس أن يظهر أخيلليوس على هذا النحو، وإذا كانت تلك الكلمات تعبر عن غضب أخيلليوس الشديد من أجاممنون، فإنها تلقى الضوء على نقد أخيلليوس للمبادئ الأخلاقية التى تحكم المجتمع الهوميرى، وتوضح أن القيم الأخلاقية التى يفرضها المجتمع على أفراده، لا تحقق الفائدة المرجوة منها إذ لم تحقق لهؤلاء الأفراد أهدافهم الشخصية.

ولكى ندرك مدى التناقض بين شفقة أخيلليوس التي ينشدها الأخيون، وغضبه الذى يحاولون إطفاء نيرانه، يجب أن نشير أن شفقته هى التى أنقذت الجيوش الإغريقية من الهلاك فى الكتاب الأول، وهى التى جعلته حريصاً على وحدة الأخيين، واعتقاده بأن انسحاب أي محارب من الحرب يكون انسحاباً من طريقة الحياة الوحيدة التى تعطى لحياته معنى؛ أما غضبه فقد كان السبب الرئيس فى هزيمتهم على أيدى الطرواديين، بالإضافة إلى حرمان المرميديين من ممارسة حياتهم بالوسيلة الوحيدة التى يتقونها،[٢] لدرجة أن باتروكلوس، الذى لم نسمع له صوتاً طوال أحداث الإلياذة، يخاطبه قائلاً:

νηλεές, ὃς παρὰ νηυσὶν ἔχεις ἀέκοντας ἑταίρους.[3]

يا عديم الرحمة يا من تحتجز رفاقك مكرهين عند السفن.

ولكن عندما ينقد باتروكلوس نفسه تصرفات أخيلليوس، فإنه لا يشير إلى الأهداف الأخلاقية التي كانت محور حديث الرسل وخاصة نيستور، ولكنه يتحدث عن صفات أخيلليوس الشخصية، فمن وجهة نظره، إن ظهور أخيلليوس بوصفه عديم الشفقة، يعنى فقدان ماهيته التى

(1) Martin. P. R., The Language of Heroes, Speech and Performance in the Iliad. Londoon, (1989). pp. 206. Mac Cary op. cit. p. 57.

(2) Kim. J. op. cit. p. 84.

(3) Idem. 16. 204.

يتميز بها، والتى يجب أن يظل متميزاً بها. وتبتكر لغة باتروكلوس صورة أخاذة لربة البحر ثيتيس التي تتحول فى حديثه إلى بحر بلا حدود، كما يتغير شكل جبل بليون إلى كتل بدائية من الحجارة. ويقصد أن أخيلليوس عندما يكون بلا شفقة، يصبح مثل هذه الصور البدائية، مثل الطبيعة، فهو لا يكون إنساناً بل أشبه بالبحر أو الجبل، وببساطة يشبه باتروكلوس فضيلة أخيلليوس وقوته بتلك القوى الطبيعية، بوصفها قوى غير إنسانية، وعلاوة على أنها محرومة من المفاهيم الإنسانية فهى غير واعية بها. وكذلك تنحرف فضيلة أخيلليوس عن مسارها الطبيعى إذا رفض مساعدة الأخيين؛ فهو الآن شخص شجاع (ἐσθλός) ولكنه مخيف (αἰναρέτη)[1] فيقول:

τί σευ ἄλλος ὀνήσεται ὀψίγονός περ
αἴ κε μὴ ᾽Αργείοισιν ἀεικέα λοιγὸν ἀμύνῃς;[2]

يا لها من قوة ملعونة، ولكن أى جيل تال سيفيد منك ومن قوتك
إن لم تدفع عن الأرجيين هذا الدمار الدموى.

لم يكتف أخيلليوس بإعلان كراهيته نحو أجاممنون، بل حول الخلافات الشخصية إلى قضايا عامة، وتحول غضبه من أجاممنون إلى كراهية لكل الدانائيين، فيقول:

οὔτ᾽ ἔμεγ᾽ ᾽Ατρεΐδην ᾽Αγαμέμνονα πεισέμεν οἰω
οὔτ᾽ ἄλλους Δαναούς, ἐπεὶ οὐκ ἄρα τις χάρις ἦεν
μάρνασθαι δηΐοισιν ἐπ᾽ ἀνδράσι νωλεμὲς αἰεί.[3]

أعتقد أن أجاممنون، بن أتريوس، لن يستمليني أبداً.
ولا جميع الدانائيين، فما من كلمة شكر قُدمت لى،
عندما كنت أحارب الأعداء بلا هوادة.

لم يكتف أخيلليوس باعتراضه ونقده للمبادئ البطولية، بل تمادى وأعلن عدم جدواها فى المجتمع الذى يعيش فيه، فيقول:

(1) Kim. J. op. cit. p. 116f.

(2) dem 16. 31.

(3) Idem. 9. 315ff.

. ἴση μοῖρα μένοντι καὶ εἰ μάλα τις πολεμίζοι·
ἐν δὲ ἰῇ τιμῇ ἠμὲν κακὸς ἠδὲ καὶ ἐσθλός·
κάτθαν᾽ ὁμῶς ὃ τ᾽ ἀεργὸς ἀνὴρ ὃ τε πολλὰ ἐοργώς.(1)

فمصير من يتكاسل ومن يحارب واحد
ويلقى الجبان والمقدام التقدير نفسه، فالذى
يكافح كثيراً، والذى لا يكافح يموتان الميتة نفسها.

لقد وصل أخيلليوس بفكره إلى أنه لا يمكن تمييز أى بطل عن غيره من الأبطال تحت ظل هذه المبادئ الأخلاقية، فيعبر عن شكواه من عدم تقديره هو وأعماله، فيقول:

οὐδέ τί μοι περίκειται, ἐπεὶ πάθον ἄλγεα θυμῷ
αἰεὶ ἐμὴν ψυχὴν παραβαλλόμενος πολεμίζειν.(2)

وما جنيت فائدة قط من الصعاب التى تكابدها روحى،
والتى تربط حياتى بالخطر وإشعال الحروب.

والمثير للانتباه هنا، أن أخيلليوس يتنكر هنا للفضيلة التى سبق وقد أشار إليها هو نفسه فى الكتاب الأول، وقال عنها إنها كافية لكى تجعله يبذل أقصى جهده فى المعركة، والتى يسعى إليها كل شخص على أرض القتال. فقد وصل إلى اقتناع بأنه لا يوجد تقدير ولا جائزة تساوى إقدامه على القتال، ويشير إلى موضوع مهم وهو ما جدوى الفضيلة مع الموت، وأن المجد الذى يسعى إليه سيصبح بلا قيمة بعد الموت. (٣) فيقول:

οὐ γὰρ ἐμοὶ ψυχῆς ἀντάξιον οὐδ᾽ ὅσα φασὶν
Ἰλιον ἐκτῆσθαι εὖ ναιόμενον πτολίεθρον
τὸ πρὶν ἐπ᾽ εἰρήνης, πρὶν ἐλθεῖν υἷας ᾽Αχαιῶν,
οὐδ᾽ ὅσα λάϊνος οὐδὸς ἀφήτορος ἐντὸς ἐέργει
Φοίβου ᾽Απόλλωνος Πυθοῖ ἔνι πετρηέσσῃ.(4)

(1) Ibid. 318-320.

(2) Ibid. 321f.

(3) Scully St. "The Language of Achilles: the ΟΧΘΗΣΑΣ formulas" A.P.A. 114. (1984) pp. 11-27.

(4) Idem. 9. 401-405.

أنه لا شئ يساوى روح الإنسان، ولا حتى الثروات الضخمة التى يقال
إن مدينة إليون العامرة كانت تملكها وقت السلم، قبل مجئ الأخيين،
ولا حتى كل ما يوجد فى معبد أبوللون الوضاء
الذى يسيطر على معبد بيثو الصخرى.

لم يستطع أخيلليوس أن يخفى حقيقة مشاعره تجاه أجاممنون، فمن الممكن ملاحظة نبرة الغيرة فى حديثه، فعندما تأتي سيرة بريسئيس يقول:" دعه يتمتع، وهو يعاشرها"[١] ثم يتحدث عنها كما لو كانت المرأة الوحيدة التى أحبها من كل قلبه، فيقول

ἐπεὶ ὅς τις ἀνὴρ ἀγαθὸς καὶ ἐχέφρων
τὴν αὐτοῦ φιλέει καὶ κήδεται, ὡς καὶ ἐγὼ τὴν
ἐκ θυμοῦ φίλεον.[2]

إن الرجل النبيل الفطن يحب زوجته ويهتم بأمرها.
وكذا أحببت أنا أيضاً زوجتى.

ولكن كلمة الحب هنا تقودنا إلى فهم خاطئ لموقف أخيلليوس، فقد قال "ἐκ θυμοῦ φίλεον" والتى تعني أنه قد اهتم بها بكل جوارحه، كما أن الفعل "يحب" (φιλέει) عندما يرتبط مع الفعل "يهتم بـ" (κήδεται) يشير إلى المشاعر النبيلة التى يكنها الرجل لزوجته. ومما لا شك فيه أن هوميروس كان يضع على لسان أخيلليوس كلمات ينطق بها، وهو فى ثورته، ولكنه لا يعنيها، على سبيل المثال، على الرغم من أن أخيلليوس يتحدث عن بريسئيس بوصفها رفيقة فراش (ἄλοχον) إلا أنه يصفها بعد ذلك بوصفها الحقيقى، فهى مجرد جائزة (γέρας):[٣]

νῦν δ' ἐπεὶ ἐκ χειρῶν γέρας εἵλετο καί μ' ἀπάτησε
μή μευ πειράτω εὖ εἰδότος· οὐδέ με πείσει.[4]

(1) Ibid. 336f.

(2) Ibid. 341-343.

(3) Schein., The Mortal Hero. p. 107.

(4) Idem. 9. 344.

فدعه لا يحاول الآن، وقد أخذ جائزتى وخدعنى،
أن يستملينى ثانية، فأنا أعرفه جيداً، فلن أذعن له.

والحقيقة أن موقف أخيلليوس هنا يفتقد المصداقية، فالبطل الذى قَبِلَ أن يضحى بحياته من أجل المجد، يرفض الآن أن يرفع البلاء عن عشيرته، فهو ينظر للأمر بمنظور شخصى محض، أو بتعبير آخر، كان موقف أخيلليوس هنا تعبيراً عن أنانيته الشديدة، وقد يدفعنا هذا التفسير إلى القول: عندما وصف هوميروس غضب أخيلليوس بالصفة التى يصف بها غضب الآلهة، لم يكن هذا نابعاً من مكانة أخيلليوس بقدر ما كان تعبيراً عن أنانيته وغروره بنفسه، وإذا كان يتحدث الآن عن شكواه من سلوك أجاممنون، أين كانت إذن تلك الشكوى قبل ذلك، لقد رضى أخيلليوس بدوره الحربى، بل وكان يجد نفسه فيما يقوم به من أعمال.

يزعم أخيلليوس أنه قد انسحب من مجتمعه الحربى عندما أيقن أن أفعاله فى ذلك الوقت لا تحمل أية معنى أخلاقى، والأكثر من ذلك أنه يثير قضايا هامة، لو آمن بها باقى القادة لانفضت الحرب وذهب كل منهم إلى وطنه، وأهمها كان حديثه عن السبب الرئيس لهذه الحرب، فقد بدأ ينظر إلى السبب المزعوم للحرب بوصفه أكذوبة، وتسائل: ألم يجتمع قادة الإغريق على سهول طروادة لينتقموا من الطرواديين بسبب الجريمة نفسها، وهى خطف هيلين زوجة شقيق أجاممنون؟ وبطريقة مختلفة، كان السبب الرئيس للحرب هو عهد الصداقة الذي التزم به الأخيون مع الأتريديين ضد الطرواديين بسبب اختطاف هيلين. ولكن أجاممنون الآن يرتكب نفس الجُرم، فقد ارتكب ضد أخيلليوس نفس الخطأ الذى ارتكبه الطرواديون. ولذلك فإن أخيلليوس يجد أن سبب صداقته مع أجاممنون، وفى الوقت نفسه سبب عداوته للطرواديين مجرد وهم.[1] فيقول:

τί δὲ δεῖ πολεμιζέμεναι Τρώεσσιν
᾽Αργείους; τί δὲ λαὸν ἀνήγαγεν ἐνθάδ᾽ ἀγείρας
᾽Ατρεΐδης; ἦ οὐχ ῾Ελένης ἕνεκ᾽ ἠϋκόμοιο;[2]

ولكن لماذا ينبغى أن يحارب الأرجيون
الطرواديين؟ لماذا أبحر بنا ابنا أتريوس وحشدوا الجيوش هنا؟

(1) Jenkyns., op. cit. p. 23.

(2) Idem 9. 337-339.

ولكنه تناسى أن خطف هيلين كان بمثابة إهانة للمجتمع الإغريقي برمته، وأن العهد الذى أبرمه الأخيون مع الأتريديين كان عهد بين أصدقاء يعيشون تحت سقف مجتمع واحد، وخطف هيلين كان بمثابة اعتداء على الأخيين والأتريديين أجمعين. وإذا كان أخيلليوس قد ارتكب حماقة في الكتاب الأول عندما تعمد إثارة أجاممنون، فإنه يرتكب هنا خطأ أكبر عندما يقارن بين خطف هيلين وحرمانه من محظيته.

يظهر أخيلليوس بمظهر عبثى عندما ينصح قادة الإغريق ألا يكونوا مدمرين للمدن، فقد ارتبط لقب "مدمر المدن" بأخيلليوس، ولكنه يحذرهم الآن من أن اختيارهم أن يدمروا المدن دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير فى مدى صحة أفعالهم، اختيار غير أخلاقى.(١)

ويعود أخيلليوس مرة أخرى إلى موضوعه الرئيس، فيقول إنه يمقت أجاممنون هو وهداياه، ويصل أخيلليوس إلى قمة انفعاله وتعبيره عن غضبه من أجاممنون عندما يقول إن أجاممنون لن يستطيع أن يقنعه بالعودة إلى الحرب حتى لو أعطاه هدايا بعدد الرمال والتراب، ويرفض الزواج من ابنته حتى لو كانت تضاهى أفروديت جمالاً وجاذبية وتنافس أثينة فى مهارتها، والسبب مثلما جاء على لسان أخيلليوس هو الإهانة التى ألحقها أجاممنون بأخيلليوس، ولذلك فإنه لن يتراجع عن موقفه حتى يقدم له أجاممنون فدية تزيح الأسى من قلبه، أو ليتذوق نفس البؤس الذي عرفه أخيلليوس، [قد يكون هذا هو السبب في قبول أخيلليوس لفدية بريامس، فقد تذوق بريامس من نفس الكأس الذى تجرعه أخيلليوس بعد وفاة باتروكلوس].(٢)

٢ . أخيلليوس وفوينيكس

يبدأ فوينيكس حديثه، ويسير على الدرب نفسه الذي بدأه أوديسيوس وهو شفقة أخيلليوس، ويبدأ حديثه فى أسلوب تضرعى، يناجى فيه أخيلليوس،(٣) فيقول:

εἰ μὲν δὴ νόστόν γε μετὰ φρεσὶ φαίδιμ᾽ Ἀχιλλεῦ
βάλλεαι, οὐδέ τι πάμπαν ἀμύνειν νηυσὶ θοῇσι

(1) Kim. J. op. cit. p. 90.

(2) Schein, The Mortal Hero. p. 23.

(3) Kim. J., op. cit. p. 92f.

πῦρ ἐθέλεις ἀΐδηλον, ἐπεὶ χόλος ἔμπεσε θυμῷ,
πῶς ἂν ἔπειτ᾽ ἀπὸ σεῖο φίλον τέκος αὖθι λιποίμην οἷος;[1]
أخيلليوس أيها الأمجد، إذا كنت قد حسمت أمرك
وقررت العودة، ولم تعد تهتم مطلقاً بإبعاد خطر النار المدمرة
عن السفن السريعة، حيث إن الغضب تمكن من
روحك، فكيف لى أن أبقى أنا هنا بعيداً عنك، يا ولدى.

عندما يتحدث فوينيكس فأنه يضع الحرب فى دائرة الضوء، ويقول إن الحرب بالنسبة لأخيلليوس تعنى إنقاذ أصدقائه من الهلاك على يد العدو، ويتركز حديثه حول نقطة واحدة وهى عودة أخيلليوس إلى الحرب، لأن الواجب يفرض عليه أن يرفع الدمار عن أصدقائه، (وزيادة فى التأثير على أخيلليوس) يقول فوينيكس إن كثير من الأصدقاء يحتاجون مساعدته، ومن بينهم فوينيكس نفسه، ويستند فوينيكس فى حديثه على عمق الصداقة بينه وبين أخيلليوس، فيناديه ثلاثة مرات أثناء حديثه بلقب "الصديق" (الأبيات ٦٠١ و ٣٤٧ و ٤٤٤)، وعلاوة على ذلك يشبه فوينيكس نفسه بالوصى على أخيلليوس، الذى تحمل مشاق الطريق وجاء إليه لأنه يعتبره بمثابة ابنه (الأبيات ٤٤٦-٩٥)، فيقول له كيف أنه أحبه من كل قلبه (البيت ٤٨٦) "وكرس حياته من أجله" (البيت ٤٩٢)، متوقعاً أن أخيلليوس، فى يوم ما، وبالتحديد اليوم، سوف يكون له بمثابة ابناً له، لأنه محروم من الأبناء، ولذلك تفرض تلك العلاقة على أخيلليوس أن يبعد عن فوينيكس الدمار الذى يحيق به:

ἀλλὰ σὲ παῖδα θεοῖς ἐπιείκελ᾽ Ἀχιλλεῦ
ποιεύμην, ἵνα μοί ποτ᾽ ἀεικέα λοιγὸν ἀμύνῃς.[2]
فقد اتخذتك أنت يا أخيلليوس يا شبيه الآلهة
ولداً لى. حتى تدفع عنى الدمار المخيف

ومن ثم يتطرق إلى موضوع مليجروس (Μελέαγρος) ويسرد قصته كاملة، ليلقي الضوء على مفهوم الصداقة وحقوقها. وينهى فوينيكس حديثه مع أخيلليوس وهو يطلب منه أن

(1) Idem. 9. 434- 437.

(2) Ibid. 494-495.

يكون مثل مليلجروس، الذى استجاب لطلب زوجته كليوباترى (Κλεοπάτρη) ووافق على مساعدة عشيرته، مع أنه لم يأخذ مقدماً هدايا تقديره، ولكنه، أى فوينيكس، يأتى إلى أخيلليوس ومعه الهدايا الملائمة، ويقول له، علاوة على ذلك، إنه سيجد التقدير الذى يتلاءم مع مكانته الحقيقية إذا عاد إلى صفوف الجيش.(١)

يبدأ أخيلليوس إجابته بطريقة ودودة ولطيفة، ولكنه يرفض بحدة أن يلتزم بالمبادئ البطولية التى بواسطتها تتحقق الفضيلة التي أشار إليها فوينيكس:

Φοῖνιξ αττα γεραιὲ διοτρεφὲς οὔ τί με ταύτης
χρεὼ τιμῆς· φρονέω δὲ τετιμῆσθαι Διὸς αἴσῃ,
ἥ μ᾽ ἕξει παρὰ νηυσὶ κορωνίσιν εἰς ὅ κ᾽ ἀϋτμὴ
ἐν στήθεσσι μένῃ καί μοι φίλα γούνατ᾽ ὀρώρῃ.(2)

فوينيكس، يا والدى الشيخ، يا من رباك زيوس. إننى
لا أحتاج لتقديرهم، فأنا أعتقد أن زيوس منحني تقديراً
مماثلاً سوف يبقى معى. وأنا بجوار سفنى معقوفة المقدمة،
طالما بقى نفس فى صدرى، وطالما كانت أطرافى قادرة على الحركة.

وعلى الرغم من أن هذه الكلمات لا تعبر بصورة مطلقة عن أفكار أخيلليوس فى تلك اللحظة، والتى ظهرت فى رفضه المطلق للمبادئ البطولية التى طالبه بها أوديسيوس من قبل، إلا أنها تشير إلى عزلته المتحدث عن مجتمعه. وعندما يرفض أخيلليوس الاعتراف بسلطة مجتمعه فى منحه التقدير المناسب، فإنه يتنكر لروابط الصداقة التى تربطه مع هذا المجتمع. وتصبح مشكلته هى تحديد مجتمعه أو أصدقائه، ولكن كيف تصف الملحمة علاقة أخيلليوس برجال مثل أوديسيوس وأياس، أولئك الرجال الذين يستقبلهم فى حفاوة؟. كما هو واضح فى حديثه، أنه نفسه، في تلك اللحظة يعتقد أن المرميديون أصدقاؤه الحقيقيون، وأن أجاممنون وكل رجاله هم أعداؤه. فيقول بتهكم مخاطباً فوينيكس:(٣)

(1) Schein S., The Morta. p. 25.

(2) Idem 9. 607-610.

(3) Kim. J. op. cit. p. 98.

μή μοι σύγχει θυμὸν ὀδυρόμενος καὶ ἀχεύων
Ατρείδῃ ἥρωϊ φέρων χάριν· οὐδέ τί σε χρὴ
τὸν φιλέειν, ἵνα μή μοι ἀπέχθηαι φιλέοντι.
καλόν τοι σὺν ἐμοὶ τὸν κήδειν ὅς κ᾽ ἐμὲ κήδῃ·(1)

لا تتعب روحى بنواحك وحزنك لمجرد إرضاء

ابن أتريوس المغوار. إن صداقته لا تتواءم معك.

وحتى لا تصبح عدواً لى رغم حبى لك.

والأفضل لك أن تشاركنى عداوة الرجل الذى عادانى.

يعبر رفض أخيلليوس عن حيرته الشديدة وعجزه عن تحديد عشيرته، فهو يعتقد، من ناحية، أن الشفقة على الأصدقاء من حقوق الصداقة، ولكنه، من ناحية أخرى، يعجز عن تحديد من هم أصدقاؤه؛ إنه باختصار فقد الترتيب التقليدي للأمور في الحياة البطولية؛ لأنه إذا أراد أن يستخلص معنى كلمة "أصدقاء" وراء الحد الضيق الخاص بالمرميديين، فعليه أن يختلق لنفسه نظاماً جديداً، ومن ثم يمنح لمفهوم الصديق معنى جديداً وفقاً لما قد وصل إليه.(٢)

٣ . أخيليوس وأياس

من ثم يأتى دور أياس، الذى استند فى حديثه على صداقته مع أخيلليوس، ويبدأ أياس حديثه مع أوديسيوس دون أن يلتفت إلى أخيلليوس، وينصحه بأن يعود إلى الإغريق ويبلغهم فشل المهمة. لم يوجه أياس حديثه إلى أخيلليوس مباشرة حتى البيت ٦٣٦، بل يتحدث عنه بوصفه شخصاً غائباً، ويقول إن أخيلليوس قد وصل إلى قمة غضبه وإنه أصبح قاسياً وعديم الرحمة ولا يضع أي اعتبار لحقوق الصداقة خاصة تجاه الأشخاص الذين اعتادوا أن يقدروه فوق كل الآخرين.(٣)

αὐτὰρ ᾽Αχιλλεὺς
ἄγριον ἐν στήθεσσι θέτο μεγαλήτορα θυμὸν

(1) Idem 9. 612-615.

(2) Kim. J. op. cit. p. 99f.

(3) Zanke. op. cit. p.10; cf. Kim. J. op. cit. p. 100.

σχέτλιος, οὐδὲ μετατρέπεται φιλότητος ἑταίρων
τῆς ἧ μιν παρὰ νηυσὶν ἐτίομεν ἔξοχον ἄλλων νηλής·(1)

ولكن صدر أخيلليوس ونفسه البطولية تجيشان
بغضب وحشى فهو لا يلين أبداً، ولا يهتم بحب زملائه.
فمن بين كل الموجودين فى السفن كان
هو أكثر من أحببنا، يا لقسوة قلبه!

وعلى الرغم من أن أياس كان يقصد أن يدين أخيلليوس، إلا أنه صور بدقة كل فعاليات الأخلاق البطولية التى أُنتهكت بواسطة أجاممنون والتي تؤكد على صحة موقف أخيلليوس تجاه الأخيين، فإذا كانت شفقة المرء على أصدقائه المحاربين حقاً واجباً يفرضه عهد الصداقة بينهم، إلا أن الاحترام المتبادل بينهم هو الذى يثبت شرعية هذه الصداقة ويعطيها معناها.(٢)

والشئ الملفت للنظر أن أياس هو الشخص الوحيد الذي أطلق على هدايا أجاممنون الصفة "فدية" (ποινὴ)، فيقول له "على الرغم من أن أهل الشخص المقتول يقبلون الفدية، إلا أنك ترفض وتتخلى عن أصدقائك من أجل فتاة"، ومن ثم يرجو أخيلليوس أن ينظر لهم بعين الاحترام فهم تحت سقف بيته، هم وجموع الإغريق المحاربين، يعتقدون أنه الأقرب والأعز لديهم.(٣)

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه هو، لماذا تعمد هوميروس الإسهاب فى وصف هدايا أجاممنون إلى أخيلليوس؟.(٤)

كان نيستور هو أول من تحدث مع أجاممنون فى موضوع مصالحة أخيلليوس فقال له:
σὺ δὲ σῷ μεγαλήτορι θυμῷ
εἴξας ἄνδρα φέριστον, ὃν ἀθάνατοί περ ἔτισαν,
ἠτίμησας, ἑλὼν γὰρ ἔχεις γέρας· ἀλλ᾽ ἔτι καὶ νυν

(1) Idem 9. 628-633.

(2) Kim. J. op. cit. p. 101.

(3) Adkins. Values. p. 311f.

(4) Idem. 9. 122-157.

φραζώμεσθ᾽ ὥς κέν μιν ἀρεσσάμενοι πεπίθωμεν
δώροισίν τ᾽ ἀγανοῖσιν ἔπεσσί τε μειλιχίοισι.(1)

لقد جعلتك روحك المتجبرة تهين أشجع الرجال،
الذى تحترمه الآلهة نفسها وتبجله. لقد أخذت جائزة تكريمه.
والآن فلنتشاور كيف نصالحه ونقنعه ونستميله
بالهدايا، وكيف نخاطبه بالكلمات الرقيقة.

لم يقل نيستور إن هذه الهدايا بمثابة "ترضية" (ἄοινα) أو "فدية" (ποινὴ)، ولا أعتقد أنه قد فعل ذلك عن عمد، فهو لا يؤيد أي منهما، وكل ما يعنيه، مثله مثل باقى القادة، هو نجاح حملتهم على طروادة؛ أما أجاممنون فيظل على موقفه العنيد، فعلى الرغم من اعترافه بأنه ارتكب خطأ مع أخيلليوس، إلا أنه يرفض أن يتوسل له، ولذلك فإنه يوافق على إرسال ترضية لأخيلليوس وليس فدية، فيقول:

ἄψ ἐθέλω ἀρέσαι δόμεναί τ᾽ ἀπερείσι᾽ ἄποινα.(2)

ولكى أصلح ما فعلته فسأقدم له فدية لا تعد ولا تحصى

وقد أثارت الكلمة (ἄποινα) اهتمام عديد من الباحثين، فناقش بعضهم مفهوم التعويض عند الإغريق، وما هو الفرق بين" ترضية" (ἄποινα) و"فدية" (ποινὴ)، فيقول "ويلسون" (Wilson) إن أجاممنون يقدم بعض الهدايا لأخيلليوس بوصفها "ترضية" (ἄποινα) لكى يعود إلى صفوف الجيش، ولكنه لم يقدمها بوصفها " فدية" (ποινὴ)، والفارق بينهما أن "الترضية" تشترط خضوع أخيلليوس لإمارة أجاممنون، أما "الفدية" فهى تعبير عن توسل أجاممنون إلى أخيلليوس، وهذا هو ما يرفضه أجاممنون، ولكن أخيلليوس يصر عليه،(٣) فيقول:

---

(1) Ibid.109-113.

(2) Ibid. 120.

والجدير بالذكر أن أودسيوس وفوينكس قد وصفوها بأنها هدايا (δῶρα) (9. 515) ووصفها أياس بأنها "فدية" (ποινὴ)، (9. 633) وقد وصفها أخيليوس بالهدايا.

(3) Wilson. op. cit. 76f.; cf. Haubold J. Homer's People, Epic poetry and social formation. Cambridge.; cf. Jenkyns op. cit. p. 21.

νῦν ὀΐω περὶ γούνατ᾽ ἐμὰ στήσεσθαι ᾽Αχαιοὺς
λισσομένους· χρειὼ γὰρ ἱκάνεται οὐκέτ᾽ ἀνεκτός.[1]
أعتقد أن الأخيين سوف يحتشدون سريعاً حول قدمى
لكى يتضرعوا لى.

سبق وقد أشرنا إلى أن أخيلليوس ينتظر "فدية" (ποινὴ)، من أجاممنون، ولكن أجاممنون يقدم له" ترضية" (ἄποινα) ولكن أخيلليوس يرفض تلك الترضية؛ [مثلما رفض أجاممنون ترضية من قادة الجيوش في الكتاب الأول] والحقيقة أن قادة الجيوش لم يكن يرضيهم ما قدمه أجاممنون، فقد طلب نيستور من أجاممنون أن يقدم لأخيلليوس "فدية" (ποινὴ)، وعلى الرغم من أنه لم يقلها صراحة، إلا أن ما قاله يثبت ذلك، كما أنه لم يعبر عن رضاه عن هدايا أجاممنون وكل ما قاله هو :

δῶρα μὲν οὐκέτ᾽ ὀνοστὰ διδοῖς ᾽Αχιλῆϊ ἄνακτι·[2]
لا عيب مطلقاً فى الهدايا التى تقدمها لأخيلليوس لتكسب وده.

كما أن أعضاء البعثة لم يعتمدوا على ما قد جلبوه معهم من هدايا، بل اعتمد كل منهم على قيم أخلاقية أخرى، فبينما حاول أوديسيوس إثارة همته البطولية، طالبه أياس أن يعود وفقاً لحقوق الصداقة بينهما، كما توسل إليه نيستور بوصفه فى سن أبيه.[٣]

أولاً: ποινὴ تكررت هذه الكلمة في الإلياذة تارة تعني " ثأر" (Il. 14. 483 حتى لا يبقى دم أخي المسفوك بلا انتقام) وتارة أخرى بوصفها دية تُدفع لأهل القتيل (498 .18 يتنازع رجلان على دية قتيل، يدعي أحدهما أنه دفعها كاملة) وأخرى لتكون فدية (21.28 والنقطهم من النهر ليكونوا فدية لباتروكلوس ابن مينويتيوس) وأخرى لتكون تعويضاً (5.266 فهذه الخيول من السلالة التي عوض بها زيوس) ، أما (ἄποινα) فقد تكررت إحدى عشرة مرة في الإلياذة بوصفها " تعويض"، وقد تم قبول ثلاثة منهم فقط. وأول هذه العروض كان في الكتاب الأول عندما تقدم خريسيس ليفتدي ابنته خريسئيس، وأخرهم وأكثرهم أهمية هو قبول فدية برياموس مقابل جثمان ابنه هيكتور. وبين وصول خريسيس معسكر الأخيين ووصول برياموس. (1. 13; 6. 46; 10. 380; 24. 139)

(1) Idem 11.609-10.

(2) Idem. 9. 164f.

(3) Wilson. op. cit. 83.

ولذلك كان قرار أخيلليوس النهائي هو عدم العودة إلى الحرب في صفوف الأخيين، علاوة على ذلك فإنه يرفض هدايا أجاممنون فهى لن ترد له كرامته التى أُنتهكت، ويعبر أخيلليوس عن شعوره تجاه هدايا أجاممنون، فيقول:

πρίν γ' ἀπὸ πᾶσαν ἐμοὶ δόμεναι θυμαλγέα λώβην.
κούρην δ' οὐ γαμέω Ἀγαμέμνονος Ἀτρεΐδαο,
οὐδ' εἰ χρυσείῃ Ἀφροδίτῃ κάλλος ἐρίζοι,
ἔργα δ' Ἀθηναίῃ γλαυκώπιδι ἰσοφαρίζοι.(1)

حتى لو أعطانى هدايا بعدد حبات الرمال، بسبب ما لحقنى
منه من إهانة. ولن أتزوج ابنة أجاممنون بن أتريوس، أبداً
حتى لو كانت تبارى أفروديتي ، ذهبية الشعر، جمالاً،
أو لو كانت تقوم بما تقوم به أثينة، زرقاء العينين، من أعمال.

وقد تعرض البيت ٣٨٧ لكثير من النقد، ماذا كان يريد أخيلليوس من قوله "بسبب ما لحقنى من إهانة" هل كان يطلب من أجاممنون أن يدفع له مقابل كل الآلام التي سببها له، أم أن يرفع عنه الإهانة التى سببها له. يقول بارى "يعلم أخيليوس أن طلب رد الإهانة مستحيل، ولذلك فإنه يلجأ إلى التهكم على المبادئ الأخلاقية برمتها، وقد لجأ إلى مثل هذا الأسلوب لأنه لا يملك المفردات اللغوية التى يعبر بها عن موقفه. ومن الملاحظ أن الفعل الذى يستخدمه أخيلليوس αποδιδουναι "يرد" "يدفع مقابل" لا يأتي في موضوعات التصالح. وعندما يأتى فإنه يشير إلى مفهوم "الفدية" (ποινὴ) أو رد ممتلكات مغتصبة.(٢)

تناقضت الآراء حول رفض أخيلليوس للبعثة، فقال بعض الباحثين: يعبر رفض أخيلليوس لطلبات البعثة عن رفضه للقيم الاجتماعية والإنسانية التى تهيمن على المجتمع الهوميرى، كما يمكن تفسير رفضه لهدايا أجاممنون بأنه رفض للتقدير المادى للفضيلة. والأكثر من ذلك، يمكن تفسير رفضه للتعويض المادى بوصفه تعبيراً عن خيبة أمله فى القيم المادية لمجتمعه والمبادئ

(1) Idem. 9. 387f.

(2) Parry M. The Making of Homeric Verse: the Collected Papers of Milman Parrys, d. Oxford (1972). p. 21. cf. Il. 18. 498f; 3. 285.

الراسخة والمحددة بوصفها مبادئ بطولية. كما يرى البعض أن أخيلليوس قد ابتعد وتحرر من قيم المجتمع البطولى ومبادئه. كما اعتبر البعض الآخر أن رفض أخيلليوس لهدايا أجاممنون يساوى رفضه المفهوم البطولى للفضيلة.(١)

أخيليوس الإنسان فى الكتاب الرابع والعشرين:

يجدر بنا، قبل الحديث عن محتوى الكتاب الرابع والعشرين،(٢) أن نشير إلى أهمية موت باتروكلوس، سواء، على المستوى الموضوعى، أو على المستوى الشخصى بالنسبة لأخيلليوس.

(1) Wilson. op. cit. p. 3.

(2) Kim. J. op. cit. p. 105.

اتفق معظم الدارسين على أن النشيد الرابع والعشرين هو الخاتمة الملائمة للإلياذة. رداً على وجهة النظر التى تقول إن النشيد الرابع والعشرين . برؤيته التراجيدية وتعبيره عن الإنسانية . بعيد كل البعد عن باقى القصيدة، والتى يدور موضوعها حول البطولة الحربية، فقد أثبت الدارسون، فى طرق مختلفة، أن أحداث الإلياذة نفسها توحى بأن خاتمة القصيدة ستكون دفع الفدية ودفن هيكتور. ففى النشيد الأول كان حضور خريسيس الأب وهو شيخ كبير إلى معسكر الأخيين وتوسله لكى يفتدى ابنته. على الرغم من رفض أجاممنون قائد الأخيين لطلبه، مجرد فعل مُقحم ليشير إلى حبكة الموضوع فى الإلياذة، ولكنه يتصالح، فى أخر الأمر، مع الأخيين بعد عودة ابنته إلى منزله. ومع ملاحظة التطابق الشكلى بين توسل خريسيس إلى الأخيين وتوسل برياموس إلى أخيليوس. كما قال سيشادوالدت Schadewaldt يجب أن يكون النشيد الرابع والعشرون جزءاً من وحدة الموضوع ككل. وفى النشيد السادس تُذكر أندروماخي زوجها هيكتور بأن أخيليوس قد قتل كل أخوتها وأباها عندما أغار على مدينتهم طيبة بدون توقير أو احترام (النشيد السادس، البيت ٤١٧)، ولكنها تقول إن أخيليوس قدم لوالدها جنازة لائقة، (النشيد السادس، الأبيات ٤١٧.٤١٩). ويرى بعض الباحثين أن سماح أخيليوس بجنازة ايتيون والد اندروماخي هو تصور مُسبق لدفن هيكتور، الذي سيحدث بعد أن يقبل أخيليوس توسل بriاموس، وفى النشيد الحادى عشر، الأبيات ١٠١.١٠٣، تصف الرواية كيف أن ابنين لبرياموس أحدهما شرعى والآخر غير شرعى، ايسوس وانتيفوس، قد قُتلا وتم تجريدهما من ملابسهما على يد أجاممنون، وكما تصف الرواية أنهما قد وقعا فى الآسر مرة قبل ذلك، ولكنهما عادا إلى وطنهما بعد وساطة أخيليوس (النشيد الحادى والعشرون، الأبيات ١٠٤ـ ١٠٦). وقد جانب الصواب رأى ديتشجرابر Deichgraber عندما قال إن هذه التفصيلة أيضاً تبشر بقبول أخيليوس النهائى فدية هيكتور. ويجب علينا أن نُذكر أنفسنا بحديث أخيليوس نفسه إلى ليخاؤن شقيق هيكتور غير الشرعى (فى النشيد الحادى والعشرين) قبل أن يقتله أخيليوس، أنه قد حرر أسراه من الأسر مقابل فدية، مثلما فعل مع ليخاؤن نفسه من قبل (النشيد الحادى والعشرون، الأبيات ٩٩ وما يليها). ولكنه يؤكد أن هذا قد حدث قبل مقتل باتروكلوس بيد هيكتور، ويقـــــــــــــــول ســــــــــــــــــيجال Segal

كان موت باتروكلوس بمثابة نقطة التحول الموضوعى فى أحداث الإلياذة، فمن ناحية كان موت باتروكلوس كان أشبه بانهيار حصن الأخيين الأخير فى غياب أخيلليوس، فقد أُصيب كل القادة، وبات الطرواديون ليلة سعيدة وهم يمنون أنفسهم بسحق الأخيين؛ ومن ناحية أخرى كان موت باتروكلوس كان السبب الرئيس لعودة أخيلليوس بوصفه بطلاً هوميرياً تقليدياً، فانقلبت الموازين، وبات انهيار طروادة وشيكاً.

أما على المستوى الشخصى، فقد ربط هوميروس بين موت باتروكلوس وفقدان أخيلليوس لأسلحته الإلهية، فمن ناحية، كان استيلاء هيكتور على أسلحة أخيلليوس تعبيراً عن حرمانه من صفاته البطولية المميزة، وقد وصفه هوميروس بالصفة "عارى"؛[1] ومنذ بدء الكتاب الثامن عشر يظهر أخيلليوس فى صورة العاجز الضعيف، ففقدانه لأسلحته، كان أقرب ما يكون إلى فقدانه لقدراته، على سبيل المثال، كانت الصفة "سريع القدمين" من أشهر صفات أخيلليوس، ولكن هوميروس يقول "وقد جاء أنتيلوخوس (Αντίλοχος) سريع القدمين بأخبار موت باتروكلوس" فقد نزع هوميروس صفة أخيلليوس ونعت شخصاً آخر بها؛ وهذا التبادل التهكمي لتلك الصفة يؤكد كسل أخيلليوس ويُظهره كشخص عديم الفائدة. مثلما يقول هو نفسه لأمه "ها أنا أجلس بجانب السفن بلا فائدة، مثل رياضي خارج المضمار". ولم يعد أخيلليوس إلى شكله التقليدى، بوصفه بطلاً هوميرياً إلا بعد استلامه أسلحته الجديدة التي صنعها هيفايستوس، فقد كانت بمثابة ميلاد جديد.[2]

من ناحية أخرى كان موت باتروكلوس أشبه بموت أخيلليوس رمزياً،[3] فقد بدأ انفصاله الحقيقي عن العالم الذى يعيشه، وليس فقط المجتمع البطولي الذى عبر عن رفضه لمبادئه فى

يعيد النشيد الرابع والعشرون تأكيداً على أرق جانب فى شخصية أخيليوس. كما تساعد الراوية الخاصة بتحرير ايسوس وانتيفوس، تماماً مثل فدية ليخاؤن السابقة، فى التعبير عن الجانب الأسمى فى شخصية البطل، الذى يكون واضحاً فى استقباله بريامو‌س

(1) Idem. 17. 711.

(2) Hubbard op. cit. p. 21; Il. 18. 104.

(3) Mills S. “Achilles, Patroclus and parental care in some Homeric similes” Greece & Rome.v. 47. no 1. (2000), pp. 3-16.

الكتاب التاسع، بعد موت باتروكلوس، فقد رفض أن يشارك أصدقائه الطعام، فى الكتاب التاسع عشر، قبل خوض القتال ضد الطرواديين، بالإضافة إلى أن أفعاله كلها كانت تصوره بوصفه رسولاً للموت، وقد ظهر هذا في رفضه لتوسلات الطرواديين، علاوة على ذلك إنه تجاوز كل الحدود الإنسانية فى تصرفاته، فألقى ببعض الصبية الطرواديين قرباناً على محرقة باتروكلوس، ولم يرده إلى صوابه سوى بريـاموس، أو بمعنى آخر يعود فضل تصالح أخيلليوس مع نفسه، ومن ثم مع الإنسانية كلها إلى بريـاموس، مثلما سنوضح بعد قليل.(١)

تصبح الإلياذة بدون الكتاب الرابع والعشرين باردة وكئيبة، ذلك الكتاب الذى يذهب فيه بريـاموس لكي يفتدى جثمان ابنه. حيث يصل البناء الدرامى إلى ذروته، فبعد أن قتل أخيلليوس هيكتور، وألقى بجثمانه فى العراء فريسة للكلاب. تدخل أبوللون لصالح هيكتور واستاءت الآلهة من سلوك أخيلليوس فى هذا الموقف، وعلى الرغم من أن زيوس أرسل ثيتيس بوصفها رسولاً إلى أخيلليوس لكي تقنعه بقبول فدية جثمان هيكتور، وقيام ايريس بمصاحبة بريـاموس في رحلته إلى معسكر الأخيين لكى يفتدى جثمان ابنه، وإظهار قبول أخيلليوس الفدية من بريـاموس بوصفه قراراً من الآلهة، إلا أن هوميروس قد آبى أن ينهى عمله بتلك الطريقة التى تكون أشبه بحيلة الإله من الآلة، وأفسح مساحة عريضة للمبادرة الإنسانية، فقد أراد هوميروس أن يعثر أخيلليوس على مفهوم جديد للحياة.(٢)

وتتضح تفاصيل العلاقة بينهما فى الكتاب التاسع، حيث يظهر باتروكلوس جالساً على مقربة من أخيليوس وهو يعزف على قيثارته، وعند وصول أعضاء البعثة، فقد كان دوره الرئيس هو إطاعة أوامر أخيليوس، التى انحصرت فى أمره بإعداد الطعام. ويشبه هذا الدور دور سيدة المنزل وليس محارب فى صفوف الأخيين (الكتاب التاسع، الأبيات ٢٠٧.٢١٦). ولذلك فإن أقرب وصف لدور باتروكلوس فى هذا الجزء إنه يتشابه مع دور الخادمة هيكاميدى فى الإلياذة، الكتاب الحادى عشر، البيت ٦٢٣ وما يليه، كما يتضح من الكتاب التاسع عشر، (البيت ٣١٥) والكتاب الرابع والعشرين (البيت ٦٢١) ان إعداد طعام أخيليوس كان من مهام باتروكلوس الرئيسة فى الإلياذة.

(1) Jenkyns op. cit. p. 24.

(2) Vivante P. the Iliad * Action as Poetry* Boston. (2001), p. 58.

يظهر أخيلليوس فى بداية الكتاب الرابع والعشرين متوتراً فهو لا يستطيع أن ينام ويسير جيئة وذهاباً بدون هدف، فلم تكن الألعاب الجنائزية أو قتل هيكتور كافياً لإخماد حزنه على باتروكلوس، فمازال يشتاق إليه ويرفض فكرة موته. وحين يشتد شوقه إليه نجده يأخذ جثمان هيكتور ويلف به حول مقبرة باتروكلوس، وبعدها يلقى بنفسه على الأرض ويلقى فوق رأسه التراب،[1] ويصف هوميروس حاله قائلاً:

Ἕκτορα δ' ἕλκεσθαι δησάσκετο δίφρου ὄπισθεν,
τρῖς δ' ἐρύσας περὶ σῆμα Μενοιτιάδαο θανόντος
αὖτις ἐνὶ κλισίῃ παυέσκετο, τὸν δέ τ' ἔασκεν
ἐν κόνι ἐκτανύσας προπρηνέα·[2]

ثم قام بربط جثمان هيكتور خلف العربة، وبدأ فى سحبه على الأرض.
وبعد أن سحبه مرات ثلاث حول مدفن ابن مينويتيوس
توقف وعاد مرة أخرى إلى خيمته، وقد ترك جثمان هيكتور
ممداً على وجهه فى التراب.

يثير قبول أخيلليوس هدايا بريامos بوصفها "ترضية" (ἄποινα) سؤالاً مهماً: لماذا قبل أخيلليوس هدايا بريامos وقد رفض من قبل هدايا أجاممنون التى وُصفت بنفس الصفة ؟ كيف نجح بريامos فى عقد مصالحة بين أخيلليوس وذاته؟

وفى الحقيقة أننا لا نستطيع أن نصف ما جلبه بريامos معه بوصفه "فدية" لوفاة باتروكلوس، أو ترضية عن فقدان بريسئيس أو كرامة أخيلليوس نفسه. فقد حصل أخيلليوس على "فدية" باتروكلوس عندما قتل هيكتور، كما عبر عن انتقامه عندما جرجر جثمانه حول مقبرة باتروكلوس ثم تركه وسط القاذورات عرضة للكلاب.[3]

(1) Wilson. op. cit. p. 74.

(2) Idem. 24.15-18.

(3) Ibid.

فـى البدايـة يجـب أن نشـير إلـى ضـآلة هـدايا بريـاموس إذا مـا قورنـت بهـدايا أجـاممنون، بالإضـافة إلـى اسـتخدام هـوميروس الكلمـات "ترضـية" (ἄποινα) و "هـدايا" (δῶρα) ليصـف هـدايا بريـاموس، وهى الكلمات نفسها التى استخدمها لوصف هدايا أجاممنون، فيقول زيوس:

ὥς κεν ᾽Αχιλλεὺς
δώρων ἐκ Πριάμοιο λάχῃ ἀπό θ᾽ ῞Εκτορα λύσῃ.(1)

عسى أن يحصل أخيلليوس
على هديا نفيسة من بريـاموس ليعتق هيكتور.

كما يقول لإريس:

βάσκ᾽ ἴθι ῎Ιρι ταχεῖα λιποῦσ᾽ ἕδος Οὐλύμποιο
ἄγγελον Πριάμῳ μεγαλήτορι ᾽Ιλιον εἴσω
λύσασθαι φίλον υἱὸν ἰόντ᾽ ἐπὶ νῆας ᾽Αχαιῶν,
δῶρα δ᾽ ᾽Αχιλλῆϊ φερέμεν τά κε θυμὸν ἰήνῃ σῖον,(2)

انطلقى أنتِ يا إيريس السريعة، واتركى مقرك فوق جبل الأوليمبوس
وأخبرى بريـاموس سامى الروح داخل إليوس
أن يذهب إلى سفن الأخيين كى يفتدى ولده الحبيب
وأن يقدم لأخيلليوس الهدايا التى تشرح صدره.

ولكن بريـاموس يقول لأخيلليوس:

τοῦ νῦν εἵνεχ᾽ ἱκάνω νῆας ᾽Αχαιῶν
λυσόμενος παρὰ σεῖο, φέρω δ᾽ ἀπερείσι᾽ ἄποινα.(3)

فمن أجله أتيت إلى سفن الأخيين،
كى أفتديه منك، وقد أحضرت معى فدية كبيرة لا تعد ولا تحصى.

(1) Idem. 24. 75f.

(2) Il. 24. 144-147.

(3) Ibid. 50-ff.

وإذا سلمنا بأن أى شخص يستطيع أن يأتى بتعويض ليسترد جثمان ابنه الميت، وفى نفس الوقت إذا كانت الآلهة هى التى قررت عودة جثمان هيكتور إلى ذويه،[١] فما هو الداعى للخوف من فشل بريـاموس فى مهمته، والأهم هو كيف نجح بريـاموس فى إقناع أخيلليوس برد جثمان هيكتور؟[٢]

كان دخول بريـاموس خيمة أخيلليوس ليلاً ودون إذن، مفاجأة كفيلة بأن تضفى على الجو المحيط الدهشة التى تخرس الألسنة، وتغلق الأفواه، وتمنع أى عقل من التفكير. فمن هو هذا الشخص المسن الذى يتجرأ على مثل هذا الفعل؟ ولا يجد أخيلليوس ما يقوله، فقد كان الصمت هو الإجابة الوحيدة المناسبة لمثل هذا الموقف. ويخيم الصمت على الجو المحيط، ويقف جميع الحضور وكأن على رؤوسهم الطير، ويصف هوميروس ذلك المشهد قائلاً:[٣]

τοὺς δ᾽ ἔλαθ᾽ εἰσελθὼν Πρίαμος μέγας, ἄγχι δ᾽ ἄρα στὰς
χερσὶν ᾽Αχιλλῆος λάβε γούνατα καὶ κύσε χεῖρας
δεινὰς ἀνδροφόνους, αἵ οἱ πολέας κτάνον υἱας.[4]

أما بريـاموس العظيم فقد دخل دون أن يراه أحد، ووقف على مقربة من
أخيلليوس، ثم احتضن ركبتيه بيديه الاثنتين، ثم قبل تلك اليدين
المرعبة قاتلة الرجال، التى أودت بحياة العديد من أبنائه.

لم يترك بريـاموس أخيلليوس يفيق من دهشته، بل خاطبه على الفور مذكراً إياه بوالده، ولكنه لم يفعل مثل أوديسيوس، عندما طلب منه أن يتذكر وصايا والده، فالصورة التي أثارها أوديسيوس فى نفس أخيلليوس كانت صورة المحارب، ولكن الصورة التى أثارها بريـاموس كانت صورة الأب، فهو لم يستند فى حديثه على علاقة بيليوس بأخيلليوس بصفة خاصة، بل على علاقة الأباء بالأبناء بصفة عامة، وهذا هو ما يفتقده أخيلليوس فى علاقته مع أبيه، فكما نعلم أن ثيتيس أمه هى التى تتولى شئونه بوصفه محارباً، فعلى الرغم من أن

(1) Ibid 139 f.

(2) Wilson. op. cit. p. 77.

(3) Ibid.

(4) Idem. 24. 477 ff.

بيليوس كان بطلاً إلا أنه عند مقارنته بثيتيس الخالدة، نجد أنه يتخذ الجانب الأضعف، وباختصار استبدلت ثيتيس مكانها مع بيليوس فى حياة أخيلليوس.(١)

كان بريامـوس هو الشخص الوحيد القادر على العودة بأخيلليوس إلى أرض الواقع، وإلى عالم الإنسانية، فهو يملك كل المقومات للقيام بهذا الدور؛ فهو يتحدث إلى أخيلليوس بكياسة وفطنة، فمن ناحية كان يُرضى غرور أخيلليوس، ومن ناحية أخرى كان يتوسل إليه ناشداً شفقته، لقد نجح بريـاموس فـي استدراج أخيلليوس إلى البكاء، ولكن لماذا استجاب أخيلليوس لبكاء بريـاموس ولم يستجب لبكاء فوينيكس وتوسلاته على الرغم من علاقتهما الحميمة؟

لقد أدرك أخيلليوس بغريزته أن بكاء بريـاموس هو البكاء الحقيقى الوحيد ، فهو يبكى ابنه أمام الرجل الذى قتله. والمدهش إنه لم ينهار، ولم يعمد إلى العويل والنحيب، ولكن دموعه تحولت إلى كلمات بليغة ونصائح وباختصار إلى دروس فى المعنى الحقيقى للحياة، فهو لم يتوسل إلى البطل مناشداً قوته، وألوهيته التى تسعى أمه من أجلها، ولا بالمجد الذى حققه البطل الصغير، ولكنه خاطب إنسانيته، فهو لم يتحدث، مثلما فعل ليكاؤس وهيكتور وكل من لقوا حتفهم على يد أخيلليوس، إلى البطل المغوار بل خاطب أخيلليوس الإنسان (ἄνθρωπος).(٢)

إن الدموع التى انهمرت من عينى أخيلليوس، قد أزاحت الغشاوة، وأصبحت نظرته جديدة، فهو ينظر للعالم البشرى بوصفه كلاً. ولم يعد يميز بين الأصدقاء والأعداء أو المدن، بل كان شاغله الأول هو الفرق بين السعادة والتعاسة فى حياة البشر، أو بالأحرى بين لحظات السعادة والتعاسة التى نعيشها. وقد وجد أن الشقاء هو المهيمن على حياة البشر، فحياة الإنسان مليئة باللحظات الحزينة. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو كيف نجح بريـاموس فى إقناع أخيلليوس بآدميته؟(٣)

(1) Schein, The Mortal Hero. p. 95.

(2) Vivante . op. cit. p. 60

(3) Ibid.

إن الشئ اللافت للنظر هو أن بريـاموس لـم يـذكر اسـم بيليـوس بوصـفه والـداً لأخيلليـوس، والأكثر من ذلك أن هوميروس لم يشر إلى أخيلليوس طوال أحداث الكتاب الرابع والعشرين بوصفه ابناً لبيليوس، وحين يطلب بريـاموس من أخيلليوس أن ينظر إليه ويتذكر والده . فكأنـه يقول لـه "أنظر إلى وأنا ابكى ابنى، وتذكر كل الأباء الذين مات أبناءهم بما فيهم والدك الذى سيبكيك يوماً ما" .. وعندئذ يتحقق رجاءه، ويسقط الاثنان صرعى البكاء، فبريـاموس يبكـى ابنـه، وأخيلليوس يبكـى أبـاه وباتروكلوس أو بالأحرى يبكى نفسه.[١]

إن مشهد لقاء بريـاموس وأخيلليوس مشهد فريد لم يتكرر فى كل الآداب الإغريقية، ففى هذا المشهد يلتقى عدوان يوحد بينهما شعور واحد، شخصان من عالمين مختلفين كل منهما يشفق على الآخر. إن هذا المشهد مقنع بجميع معانيه. ولا يوجد أى حديث أخلاقى يستطيع أن يصف مثل هذا المشـهد الـدرامى المفـاجئ. ففـى البدايـة كـان الارتبـاك الـذى يصـيب جميـع الحضـور بسـبب وجـود بريـاموس فـى خيمـة أخيلليوس، ولا ينتج عنـه سوى نظرات الدهشـة، وينتج عن هذا الارتبـاك صمت ثقيل يطأ بكل قوة على ألسنة الجميع. ذلك الصمت الذى يكون أبلـغ من أية كلمات. فتعبر صورة بريـاموس وهو متذلل عن كراهيـة العالم كلـه للحرب. وتظهر البراعة الهوميرية فـى جعل الأب الذى مـات كل أبنائـه هو صـاحب المبـادرة فـى الحـديث، وكانـت كلمـات بريـاموس "فكر" ثـم "تـذكر" هـى الكلمـات السـحرية التـى اعتمـد عليهـا بريـاموس فـى حديثـه مـع أخيلليوس. وبتلـك الكلمـات استحضـر بريـاموس كل من بيليوس وهيكتور وباتروكلوس إلى هذا المشـهد وكـأن الموقف الحـالى أكبر من أن يتحملـه بريـاموس وأخيلليوس بمفردهمـا. وفجـأة اختفت الفجوة الهائلـة بين العدو والصـديق. وأصـبحت دموع بريـاموس على هيكتور ودموع أخيلليوس على باتروكلوس نحيباً على الجنس البشرى كله.[٢]

كانـت استجابة أخيلليوس إلـى بريـاموس رائعـة تمامـاً مثلمـا كـان التوسـل نفسـه: فهـو يستقبله استقبالاً يليق بصديق وليس بمتوسل، وقد حقق بريـاموس هدفه فجعل أخيلليوس يشفق عليه بسبب

(1) Benardete. S. "Achilles and the Iliad" Hermes 91 (1963): 1-16., p. 12.

(2) Vivante. op. cit. 61; cf. Schein. op. cit. p 85.

شعره ولحيته الرمادية "فقد أشفق على شيبة رأسه وعلى لحيته البيضاء".[١] أى أن شعور أخيلليوس بالشفقة على والده تحول إلى شفقة على شخص آخر. والحقيقة أنه كان يشفق على كل الآباء الذين يعانون لموت أبنائهم.

ولكن السؤال يبقى: لماذا تصر الملحمة على أن تصالح أخيلليوس مع الإنسانية قد تم، بالتحديد، عندما أشفق على عدوه وليس عندما أشفق على أصدقائه؟ خاصة وأن الكلمات التي تشير إلى الشفقة توحى من خلال سياقها البلاغى بأن الفعل الطبيعى هو أن يشعر المرء بالشفقة على رفاقه عند موتهم؛ ولذلك فإن شفقته على أصدقائه تستدعى عدم شفقته على الأعداء الذين قتلوا أصدقائه. ومن غير الممكن أن تتوقف دورة الشفقة إلى عدم شفقة فى نظام الأخلاق البطولي. ولكن إذا كان البطل المحارب يطالب بإنسانية كل البشر، فعليه فى تلك اللحظة أن يتنازل عن تمسكه بالأخلاق البطولية، وهذا هو ما يفعله أخيلليوس بالضبط. ولأن المفهوم البطولي للشفقة، ينص على أن شفقة المحارب على أصدقائه تكون الدافع لإنقاذهم، وأن عدم شفقته على أعدائه هى التى تدفعه لقتلهم، وقد تحدد هذا المفهوم بصورة قاطعة فى القانون العالمى بفناء البشر. ولذلك يجب أن يتم التعبير عن تصالح أخيلليوس مع إنسانيته من خلال شفقته على عدوه، وليس فقط على أصدقائه بالمعنى تقليدى.[٢]

لقد حقق بريامـوس أكثر مما كان يأمل، فقد جعل أخيلليوس يقف إلى جانبه، ليواسيه فى ابنه، ويبدأ أخيلليوس في مواساة بريامـوس، بل والأكثر من ذلك يظهر أخيلليوس الشاب وهو يلقى النصائح على الشيخ الكبير، ويداوى ألامه النفسية، وتحدث معه بوصفه إنساناً مثله ذاق نفس المعاناة، ويقنع أخيلليوس بريامـوس أن يأكل ويشرب، فقد أضرب عن الطعام والشراب منذ وفاة ابنه،[٣] فيقول له:

ἀλλ᾽ ἄγε δὴ κατ᾽ ἄρ᾽ ἕζευ ἐπὶ θρόνου, ἄλγεα δ᾽ ἔμπης
ἐν θυμῷ κατακεῖσθαι ἐάσομεν ἀχνύμενοί περ·

(1) Idem. 24. 516.

(2) Kim. J. op. cit. P. 65.

(3) Ibid.

οὐ γάρ τις πρῆξις πέλεται κρυεροῖο γόοιο·
ὡς γὰρ ἐπεκλώσαντο θεοὶ δειλοῖσι βροτοῖσι
ζώειν ἀχνυμένοις· αὐτοὶ δέ τ᾽ ἀκηδέες εἰσί.(1)

ولكن هيا إذن وأجلس على المقعد، ولندع أحزاننا
تهدأ داخل قلوبنا، على الرغم من الألم المرير.
فلا طائل من ذلك البكاء المدمر.
هذا هو ما قدرته الآلهة للبشر التعساء،
بأن يعيشوا فى ألم مرير، بينما هم أنفسهم بلا ألام.

فى الحقيقة إن هوميروس تفوق على نفسه فى تحقيق هذا المشهد، لقد كان مشهداً خاصاً بالمواجهة بين المشاعر الإنسانية والحقيقة المجردة فى الحياة، وهى الموت. فبرياموس لم يكن ملكاً يسير فى وسط موكب فخم، ويرسل الرسل من قبله لتبلغ أخيلليوس بزيارته، ولكنه كان أباً مات ابنه، رجل مسن على أعتاب هاديس يسعى للقاء رجل فى عنفوان شبابه، وفوق كل ذلك كان ذلك الرجل هو قاتل ابنه، ولم يكن هناك حل سوى ما حدث، وهو اتحاد جميع الأطراف المتناحرة أمام عدوهم الوحيد، أمام الموت. فالموت كان حجة برياموس فى حديثه مع أخيلليوس، الذى أدرك أن وجوده بوصفه بطلاً مجرد أكذوبة لن يجنى من وراءها شيئاً، بل كان سبباً فى موت أعز أصدقاءه، بالإضافة إلى موته هو شخصياً وسوف يترك والد مسناً يبكى ابنه.(٢)

وبعد أن توقفت الدموع، يستعيد أخيلليوس قدرته على التفكير والتصرف، فيقف ويبدأ فى الحديث مع برياموس، فيقول له:

ἆ δείλ᾽, ἦ δὴ πολλὰ κάκ᾽ ἄνσχεο σὸν κατὰ θυμόν.
πῶς ἔτλης ἐπὶ νῆας ᾽Αχαιῶν ἐλθέμεν οἷος
ἀνδρὸς ἐς ὀφθαλμοὺς ὅς τοι πολέας τε καὶ ἐσθλοὺς
υἱέας ἐξενάριξα; σιδήρειόν νύ τοι ἦτορ.(3)

"آه أيها التعس، لقد كابدت كثير من الآلام!

(1) Idem. 24. 522-6.

(2) Vivante . op. cit. 62.

(3) Idem. 24. 518- 521.

كيف تحملت الحضور إلى سفن الأخيين بمفردك،
فى مواجهة الرجل الذى فتك بالكثيرين من أبنائك
البواسل؟ لك قلب من حديد".

لم يكن بريامـوس فى حالة تسمح له بالرد على أخيلليوس، فهو لا يريد أى شئ سوى الحصول على جثمان ابنه. فهو لا يرغب فى التكاسل بل كان متعجلاً لإنهاء هذا المشهد.

كان أخيلليوس فى هذا المشهد تجسيداً لكل العواطف الإنسانية، فقد كان عاطفياً ومتأرجحاً وعنيداً وصارماً فى رد فعله. حتى هدوءه الظاهرى، فقد كان يخفى وراءه توتراً عميقاً يصل به إلى ذروة القلق؛ فهو لا يستطيع أن يقبل الفدية التى جاء بها بريـاموس، وفى الوقت نفسه لا يستطيع رفضها، وتأتى عليه اللحظة الحاسمة، والتى لا يستطيع احتمالها، فيقول هوميروس:

Πηλειδης δ' οἴκοιο λέων ὥς ἅλτο θύραζε[1]

وعندما قفز ابن بيليوس كالأسد متجهاً صوب الباب إلى خارج الخيمة،

ولكن ما الذى جعل هوميروس يأتى بتلك الصورة الوحشية التي لا تتناسب مع رقة هذا الموقف. ومثلما كانت الصورة صالحة للتعبير عن شدة وطيس المعركة، فإنها أبلغ صورة تعبر عن حالة أخيلليوس النفسية فقد كان فى أقصى درجات صراعه مع نفسه. فهو يخرج مندفعاً مرعوباً من فكرة أن تتغلب عليه غريزته المولعة بالقتل. ومن ثم نراه يخاطب صديقه باتروكلوس الميت، قائلاً :

μή μοι Πάτροκλε σκυδμαινέμεν, αἴ κε πύθηαι
εἰν Ἄιδός περ ἐὼν ὅτι Ἕκτορα δῖον ἔλυσα
πατρὶ φίλῳ, ἐπεὶ οὔ μοι ἀεικέα δῶκεν ἄποινα.
σοὶ δ' αὖ ἐγὼ καὶ τῶνδ' ἀποδάσσομαι ὅσσ' ἐπέοικεν.[2]

أى باتروكلوس، لا تغضب منى إذا علمت
وأنت فى هاديس أننى قد أعدت هيكتور الإلهى
إلى والده العزيز، وأن الفدية لم تكن كما ينبغى،

(1) Ibid. 572.

(2) Ibid. 592ff

فلسوف أتقاسمها معك، وأمنحك منها كل ما أنت جدير به.

إن حديث أخيلليوس مع صديقه الميت يريحه ويهدئ من انفعاله، ومن ثم يعود إلى داخل الخيمة ليقف أمام بريامو‌س هادئاً، ويصف الشاعر ذلك المشهد فيقول:

υἱὸς μὲν δή τοι λέλυται γέρον ὡς ἐκέλευες,
κεῖται δ' ἐν λεχέεσσ'· ἅμα δ' ἠοῖ φαινομένηφιν
ὄψεαι αὐτὸς ἄγων·(1)

أيها الشيخ الأشيب، لقد أخليت سبيل ولدك كما طلبت
وهو الآن ممد فوق النعش الجنائزى، ومع ظهور أول ضوء للفجر
ستراه بنفسك وتحمله معك.

وبعد التوتر الذى يسيطر على هذا المشهد يجد كل من أخيلليوس وبريامو‌س راحتهما فى المشاركة الإنسانية؛ ووقف أخيلليوس أمام بريامو‌س وكأن كل شخص منهما يرى الآخر لأول مرة. وكانت تلك المواجهة هى السبب الرئيس فى انفجار تلك المشاعر الإنسانية.

إن ما فعله أخيلليوس تجاه بريامو‌س يتضمن كل الأفعال المرتبطة بالشفقة: الانتقام والشفاء والسماح بالدفن. وفى النهاية، يأمر أخيلليوس الجوارى أن يغسلن ويدهن جثمان هيكتور بالزيت، وأن يلبسنه الثوب الجنائزى، ثم يضع الجثمان على العربة الحربية لكى يأخذه بريامو‌س ويعود به إلى وطنه، وما فعله أخيلليوس مع هيكتور يعيد على الأذهان ما فعله أبوللون مع ساربيدون، فهو نفسه الذى يفتتح المراسم الجنائزية لهيكتور، والأكثر من ذلك أنه يقدم لبريامو‌س هدنة لمدة طويلة لكى يستطيع إقامة الطقوس الجنائزية لابنه، إحدى عشر يوماً، وبذلك يتأكد بريامو‌س من أنه يستطيع أن يقيم الطقوس الجنائزية لابنه.(٢)

(1) Ibid. 599ff.

(2) Ibid

الخاتمة

على الرغم من أن الموضوع الرئيس لملحمة هوميروس هو حرب طروادة، إلا أن هوميروس بوصفه شاعراً وليس مؤرخاً، لم يكن هدفه هو تأريخ حرب طروادة، بل كان اهتمامه الأول هو إلقاء الضوء على القيم الأخلاقية التى تنسق العلاقة بين أفراد العشيرة الواحدة، وتساعد أفراد هذا المجتمع على تحقيق أهدافهم الشخصية دون المساس بالصالح العام.

وقد كان اختيار هوميروس لمجتمع الجيوش الإغريقية بوصفه المجتمع الذي سيناقش من خلاله أفكاره، اختياراً موفقاً، فهذا المجتمع يتكون من مجموعة محاربين، اتفقوا على تحقيق هدف قومى، ولكن كل فرد منهم كان يبحث عن هدفه.

وكان عنوان هذا البحث الأبعاد الإنسانية لشخصية أخيلليوس، هو محاولة مني لإلقاء الضوء على تلك القيم الأخلاقية التى اعتقد هوميروس أنها كافية بتنسيق العلاقة بين أفراد المجتمع دون التعارض بين تحقيق كل فرد لهدفه الشخصى مع الهدف العام للعشيرة.

ولذلك فقد خصصت مقدمة هذا البحث لإلقاء الضوء على العلاقة بين الملك وعشيرته من خلال مناقشة حوار ساربيدون وجلاوكوس، كما قمت بتوظيف هذا المشهد فى مناقشة القيم الإنسانية التى يعتنقها أفراد هذا المجتمع.

أما عن دراسة الأبعاد الإنسانية لشخصية أخيلليوس، فقد استندت فى دراستى على ثلاثة كتب، الكتاب الأول والكتاب التاسع والكتاب الرابع والعشرين، لاعتقادى بأنها أهم المناطق المحورية فى الإلياذة من ناحية وفى إلقاء الضوء على الأبعاد الإنسانية لشخصية أخيلليوس فى الإلياذة من ناحية أخرى، وقد اعتبرت هذه الكتب تجسيداً لمراحل تطور فكر أخيلليوس، أو بمعنى آخر تصف هذه الكتب تطور علاقة أخيلليوس بأبويه.

المرحلة الأولى: بدأ أخيلليوس الإلياذة وهو شاب صغير يوافق على دفع حياته ثمناً للمجد الذى ينتظره، ولكن الحقيقة هى أن أخيلليوس لم يكن مدركاً للمعنى الحقيقى للموت، فهو لم يعرف المعنى الحقيقى للحياة، فقد بدأ أخيلليوس الإلياذة وهو يعلم علم اليقين أن أمه سوف تستجيب لطلباته كلها، لقد كانت الحرب بالنسبة له ألعوبة يلهو بها، ويتمادى فى ممارسة الدور الذى

اختارته أمه له، فاكتسب صفة مدمر المدن، ولم يكلف نفسه عناء الوقوف مع نفسه ليتساءل عما إذا كان ما يفعله يحالفه الصواب أم لا.

ولكن بالعودة إلى حياة أخيلليوس نجد أنه كان ابناً للقاء غير متكافئ بين ربة خالدة وإنسان، والأكثر من ذلك أن أمه هي التي تولت مقاليد حياته، فهى التى حاولت تخليص جسده من النار الآدمية، تارة بتعريض جسده للنار، وتارة أخرى بوضع جسده فى النهر المقدس؛ وكذلك كان اشتراكه في الحرب الطروادية قراراً من أمه. ولكى نستوعب هذه النقطة جيداً، يجب أن نوضح أن أخيلليوس كان يمثل نقطة الضعف الوحيدة فى شخص أمه، فهى خالدة وهو إنسان ينتمي إلى عالم البشر المقدر عليه الموت والمعاناة، كما أن وجوده على هذا الشكل جعل أمه خاضعة بدورها لأحاسيس البشر؛ فهى تتألم وتحزن لحزن ابنها بل وتنتحب مثل باقى الأمهات لموته. ولذلك كان موت أخيلليوس هو الحل الوحيد لتخلص أمه من نقطة الضعف التى لحقت بها بعد زواجها من بيليوس.

وإذا كانت مقارنة أخيلليوس لأعماله العسكرية بدور الطائر الأم التى تسعى للحصول على طعام لصغارها على الرغم من المشقة التى تتكبدها، خير تعبير عن مدى تأثره بدور أمه فى حياته؛ فإن وصفه لباتروكلوس فى الكتاب السادس عشر بالفتاة الصغيرة التى تهرول لأمها باكية عند تعرضها لمكروه كان خير تشبيه لحال أخيلليوس نفسه.

وباختصار يظهر أخيلليوس فى الكتاب الأول وهو عاجز عن اتخاذ قرار، فعلى الرغم من أنه يبدو وكأنه حريص على نجاح الحملة، إلا أن قرار عقد الاجتماع لقادة الجيوش لم يكن من عقله هو، بل كان بناء على نصيحة الربة هيرا، فهى التى اختارته ليكون صاحب الدعوة إلى الاجتماع.

يبرهن أخيلليوس على عدم نضجه فكرياً، بما فعله فى الاجتماع، فهو كما سبق وأشرنا اتخذ موقفاً معادياً لأجاممنون، وكان همه الأول هو مهاجمة أجاممنون بأفظع الصفات دون مراعاة حتى لفارق السن بينهما، فقد كان أجاممنون فى سن أبيه، ولكن أخيلليوس لم يعتاد على دور الأب فى حياته، ولذلك فهو يفشل فى الحديث مع من هم فى سن أبيه، بل ويوشك على قتله لولا تدخل الربة أثينة فهى التى منعته من قتل أجاممنون.

ينسحب أخيلليوس من المعركة، وبدلاً من شد رحال سفينته إلى وطنه فيثيا، يهرول إلى أمه باكياً شاكياً من اعتداء أجاممنون عليه، وتستمر ثيتيس فى ممارسة دورها، التى اعتادت عليه، مع أخيلليوس، فتنصحه بالبقاء بجانب السفن حتى تذهب وتتوسل إلى زيوس لكى ينتقم من أجاممنون هو والأخيين.

وموجز القول، كان أخيلليوس فى المرحلة الأولى تجسيداً للعلاقة غير المتكافئة بين والديه، ومع ذلك يجب ألا ننسى أن أخيلليوس نبيل المولد، فهو شخص كريم يرحم الضعفاء، بالإضافة إلى ذلك أنه كان بالفعل حريص على نجاح الحملة العسكرية وقدم كل ما يستطيع أو يرى أنه صالح لتحقيق أهداف الحملة الإغريقية، وإذا كانت الربة هيرا هى التى نصحته بعقد الاجتماع إلا أن شفقته على أهل عشيرته، هى التى حفزته على قبول اقتراح هيرا، وكان جهله بأمور الشئون السياسية هو السبب الرئيس فى الشجار الذى حدث بينه وبين أجاممنون.

المرحلة الثانية: على الرغم من أهمية هذا الكتاب في إلقاء الضوء على أهمية الشفقة فى تنسيق العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد، إلا أنه يعبر بدقة عن حيرة أخيلليوس التى نبعت من وجوده بوصفه ابناً لربة وإنسان، فهو لا يعلم إلى أي العالمين ينتمى، وعلى الرغم من أن اعتقاده بأن حق الصديق على صديقه هو أن يشفق كل منهما على الآخر، إلا أنه يفشل فى تحديد من هم أصدقاؤه. والحقيقة أن حيرة أخيلليوس لم تقف عند حد تحديد من هم أصدقاؤه، بل عن تحديد المجتمع الذى ينتمى إليه.

يزعم أخيلليوس أنه قد انسحب من مجتمعه الحربى عندما أيقن أن أفعاله في ذلك الوقت لا تحمل أية معنى أخلاقى، وتسائل : ألم يجتمع قادة الإغريق على سهول طروادة لينتقموا من الطرواديين بسبب الجريمة نفسها، وهى خطف هيلين زوجة شقيق أجاممنون؟

والحقيقة أن موقف أخيلليوس هنا يفتقد المصداقية، فالبطل الذي قَبِلَ أن يضحي بحياته من أجل المجد، يرفض الآن أن يرفع البلاء عن عشيرته، فهو ينظر للأمر بمنظور شخصي محض، أو بتعبير آخر، كان موقف أخيلليوس هنا تعبيراً عن أنانيته الشديدة، وقد يدفعنا هذا التفسير إلى القول: عندما وصف هوميروس غضب أخيلليوس بالصفة التي يصف بها غضب الآلهة، لم يكن هذا نابعاً من مكانة أخيلليوس بقدر ما كان تعبيراً عن أنانيته وغروره بنفسه، وإذا كان يتحدث

الآن عن شكواه من سلوك أجاممنون، أين كانت إذن تلك الشكوى قبل ذلك، لقد رضى أخيلليوس بدوره الحربى، بل وكان يجد نفسه فيما يقوم به من أعمال

وعلى الرغم من أن هذه الكلمات لا تعبر بصورة مطلقة عن أفكار أخيلليوس فى تلك اللحظة، والتي ظهرت فى رفضه المطلق للمبادئ البطولية التى طالبه بها أوديسيوس من قبل، إلا أنها تشير إلى عزلته المتحدث عن مجتمعه. وعندما يرفض أخيلليوس الاعتراف بسلطة مجتمعه في منحه التقدير المناسب، فإنه يتنكر لروابط الصداقة التي تربطه مع هذا المجتمع. وتصبح مشكلته هي تحديد مجتمعه أو أصدقائه.

على الرغم من تناقض الآراء حول أسباب رفض أخيلليوس للبعثة، فقال بعض الباحثين: يعبر رفض أخيلليوس لطلبات البعثة عن رفضه للقيم الاجتماعية والإنسانية التى تهيمن على المجتمع الهوميرى، كما يمكن تفسير رفضه لهدايا أجاممنون بأنه رفض للتقدير المادى للفضيلة. والأكثر من ذلك، يمكن تفسير رفضه للتعويض المادى بوصفه تعبيراً عن خيبة أمله فى القيم المادية لمجتمعه والمبادئ الراسخة والمحددة بوصفها مبادئ بطولية. كما يرى البعض أن أخيلليوس قد ابتعد وتحرر من قيم المجتمع البطولي ومبادئه. كما اعتبر البعض الآخر أن رفض أخيلليوس لهدايا أجاممنون يساوى رفضه المفهوم البطولى للفضيلة، إلا أنى أرى أن رفض أخيلليوس لطلبات البعثة كان أبلغ تعبير عن عجز أخيلليوس عن تحديد هويته الحقيقية.

المرحلة الثالثة: كان هدف هوميروس هو عودة أخيلليوس إلى حقيقته بوصفه إنساناً، وقد ظهرت أدمية أخيلليوس وعجزه فى استيلاء هيكتور على أسلحة أخيلليوس، فوصفه بالصفة " عارى"؛ ومنذ بدء الكتاب الثامن عشر يظهر أخيلليوس فى صورة العاجز الضعيف، ففقدانه لأسلحته، كان أقرب ما يكون إلى فقدانه لقدراته، على سبيل المثال، فقد نزع هوميروس صفة أخيلليوس ونعت شخصاً آخر بها؛ وهذا التبادل التهكمى لتلك الصفة يؤكد كسل أخيلليوس ويُظهره كشخص عديم الفائدة. وإذا كان استلام أخيلليوس لأسلحته الجديدة بمثابة ميلاد جديد له بوصفه محارب تقليدى، فإن لقاءه مع بريأموس كان الميلاد الجديد له بوصفه إنساناً.

إن الشئ اللافت للنظر هو أن بريأموس لم يذكر اسم بيليوس بوصفه والداً لأخيلليوس، والأكثر من ذلك أن هوميروس لم يشر إلى أخيلليوس طوال أحداث الكتاب الرابع والعشرين

بوصفه ابناً لبيليوس، فقد أراد هوميروس أن يظهر أخيلليوس هنا بوصفه إنساناً، وحين يطلب برياموس من أخيلليوس أن ينظر إليه . ويتذكر والده . فكأنه يقول له "أنظر إلى وأنا ابكى ابنى، وتذكر كل الأباء الذين مات أبناءهم بما فيهم والدك الذى سيبكيك يوماً ما".

لماذا يصر هوميروس على أن تصالح أخيلليوس مع نفسه ومع الإنسانية بأسرها قد تم بعد لقاءه مع برياموس؟

كان اللقاء بين برياموس وأخيلليوس لقاء بين رجلين أعتاب الموت، من ناحية أخيلليوس الذى يعلم علم اليقين أن موته أصبح وشيكاً بعد موت هيكتور، ومن ناحية أخرى برياموس الملك المقهور الذى يعلم قرب دمار مدينته ومن ثم موته، والشئ الرائع فى هذا المشهد أن برياموس كان على يقين من الدمار الوشيك الذى سينزل بمدينته بعد ذلك، ومع ذلك لم يتوسل إلى أخيلليوس ناشداً شفقته عليه بصفة شخصية، بل كان يتوسل إليه لكي يرد له جثمان ابنه.

لقد أثار سلوك برياموس حفيظة أخيلليوس وفجر بداخله كل مشاعر الحنين إلى أبيه، وأدرك أنه بوصفه إنساناً ينتمى إلى أبيه، وباختصار لقد رأى أخيلليوس فى برياموس صورة الأب الذى كان يتمناه لنفسه.

لقد جعلنا هوميروس ننسى حياة الأبطال بكل ما فيها من أعمال، ونقلنا إلى عالم المشاعر الإنسانية، وأصبح أخيلليوس نفسه تجسيداً لكل العواطف الإنسانية، فقد كان عاطفياً ومتأرجحاً وعنيداً وصارماً فى رد فعله. حتى هدوءه الظاهرى، فقد كان يخفى وراءه توتراً عميقاً يصل به إلى ذروة القلق؛ فهو لم يكن، مثلما قال بعض النقاد حائراً بين قبول الفدية أو رفضها، ولكنه كان في صراع مع نفسه، صراع بين المحارب والإنسان، وقد استطاع هوميروس أن يعبر عن تلك الحالة ببراعة شديدة حين قال عن أخيلليوس:

"وعندما قفز ابن بيليوس كالأسد متجهاً صوب الباب إلى خارج الخيمة"

فتلك الصورة الوحشية التى تعبر فقط عن شدة وطيس المعركة وظفها هوميروس فى التعبير عن حالة أخيلليوس النفسية فالصراع مع النفس أشد قسوة من الصراع مع العدو، لقد كانت تلك اللحظة أشبه بصراع بين الإنسان الأعزل والمحارب الذى يلهو بقتل الآخرين، وكما أراد

هوميروس انتصر الإنسان وقهر المحارب المولع بقتل، فظهر أخيلليوس فى شكل جديد، وشارك برياموس البكاء على الجنس البشرى كله وسوء حظه فى الحياة.

وأخيراً، يتضح من الكتاب الرابع والعشرين أن هدف هوميروس لم يقتصر على تصوير العالم البطولي التقليدى أو إلقاء الضوء على القيم الأخلاقية التى تتسق العلاقة بين أفراد هذا المجتمع ولكنه نجح فى التعبير عن حال الجنس البشرى، وأعتقد أن الرسالة التى أراد هوميروس إرسالها إلى كافة البشر هى "إذا كانت الآلهة لا ترحمنا وحكمت علينا بالموت، فعلينا نحن البشر أن نرحم أنفسنا ويشفق كل منا على الآخر ليس بوصفنا أفراد عشيرة واحدة، ولكن بوصفنا بشر محكوم علينا بالمعاناة والموت".